

المقطف

الجزء الخامس من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مايو سنة ١٩٤٧

١٩ جمادى الثاني سنة ١٣٦٦

وطننا الشرق

الساکت علی الحق شیطان أخرس . صدق رسول الله .
وأهد ما يكون السکوت علی الحق خطراً علی مستقبل الأمم ، أن یروح زعماءها
یغرونها بأنھا فی سبیل النجاح وھي فی الواقع فی سبیل الانحلال والضعف .
خطأ أن تقاس عظمة الأمم بعدد الأفراد أو بالثروة أو بالبنیة والمأثر ، إذا كانت نفوس
الأفراد خراباً ، إلا من أوھام العظمة ، وخیالات القوة والفتوة ، وفتنة المظاهر المرئية ،
ومن وراء جماع هذه المظاهر انحلال یعمل جمیع المرافق ، وبخاصة انحلال فی العقلیة
وانحلال فی الفکر ، وانحلال فی الأخلاق .

حفنة من المقدونین فتحوا العالم ، ودوخوا الشرق برمتہ فی زمان الإسکندر
المقدونی . ودوخوا ہانیبال رومیة العظمی بحیث خلیط من القراطیجة والغال والنومییدین
وأهل إسبانیة ، وكاد یقضي علی مجد الدولة الرومانیة . وبضعة آلاف من العرب فتحوا الدنیا
من نھر السند الی بحر الظلمات . وفی العصر الحدیث حكمت بریطانیة خمس العالم ، والایمجلیز
لا یتجاوزون الأربعین ملیوناً من الانفس .

آیة ذلك كله أن نفوساً عامرة تستعبد نفوساً خربة ، وأن أخلاقاً متماسكة تستعوی علی
أخلاق منحلة ، وعقولا تفكر تخضع عقولا جامدة ، وأفكاراً أمالیة تستعبد علی الأرضیات .

ونحن الشرقيين في هذا الطور الذي هو في الواقع طور انقلاب حقيقي ، إنما نتوهم أننا نتطور الى الاصلح ، وإننا نقمدي بالمثل وننتفع بالمثلات ، في حين أن العالم يجرنا وراءه جرًّا ويشدنا الى عجلته شدًّا ، كأننا الصخور لا تتحرك إلا بالدفع القوي الشديد ، وكأننا الموتى ينقلهم الأحياء ، أو الدمى تتلاعب بها الأيدي ، أو الكرات تتدافعها صوألجة الفرسان ، أو علامات صم تحركها أيدي اللاعبين على رقعة الشطرنج .

ما أردت بهذا تسفيهاً ، ولا أردت به تثبيطاً لهم ولا قتلاً للحوافر . وإنما أريد به أن أرفع عن الحقائق حمار الباطل ، وأن أفتح العيون على الوقائع كما هي كائنة ، لا كما تصورها لنا الأوهام . وفي هذا وحده يك الحياة الأمية وقوة الشعوب : إن أردت الحياة واجهت الحق ومضت الى الحقيقة ، فخرت من قواها وحشدت من كامن عنفوانها ما تستقوى به على أسباب الضعف .

هذه فلسطين تأكلها الصهيونية ، وتسهر على قتلها قوى اليهودية في أنحاء العالم ، ونحن نسبح في أحلام . يقول المسلمون منّا أن أمة محمد بخير . ويقول النصارى إن الأمر لله . نعم أن أمة محمد بخير ما دامت تأكل وتشرب ، وإن أكلت التراب وشربت الكدر . ونعم مرة أخرى أن الأمر لله ، ولكن أمر الله في هذه الدنيا مع الأقوياء ، لا مع المستذللين الخوارين ، الذين تتفجر في حجورهم قنابل الصهيونية ، وهم على صلواتهم ماكفون ، كأنما هذه الدنيا صلاة وصوم وزكاة ولا شيء غير هذا . وما كان الدين إلا سبيلاً للقوة ، وما كانت العقيدة إلا أداة الحرية والاستقلال والتنعم بمزايا الحياة .

وهذا شمال أفريقيا تدس بريطانيا في شرقيه أصبعها المسمومة ، وتضحك فرنسا على ذقون أهل الجزائر وتونس ومراكش ، وتعمل على تفرقة هؤلاء العرب ، والعالم العربي كله واقف ينظر كأن هذه الدنيا لا تحف به ، وكأن أهل هذه البلاد من المريح أو من زحل . قطعت فرنسا بين أهل شمال أفريقيا وبين العالم العربي كل صلة . فلا تدخل هنالك مجلة أو كتاب أو صحيفة إلا مهربة ، كأن العقل العربي في غير تلك البلاد لا يُنتج إلا مموماً تخشى فرنسا أن تسمم أهل المغرب الأقصى حنوًّا منها وعطفًا وإشفاقًا . ويدخل مصر ، قلب العالم العربي ، ثمانين صحيفة فرنسية كلها سم زعاف ، وكل دعايات سياسية وغير سياسية

وكلمها لجور وإثم ، واثارة للشهوات الخسيسة ، ونحن وقوف ننظر كأن الأمر لا يعنيننا في شيء .

وفي مصر ، ومنها يتطرق الأثر إلى العالم العربي ، صحافة تمثل مناطق النفوذ الدولي في هذه البلاد ، وثمت في غيرها من أرجاء الشرق ، فهذه صحافة للدعاية الأمريكية ترمينا بكل جأشة نكراء ، وداهية ليلاء ، من غنائات ما يلقي به الغرب في صلة المهملات ، فيصيب من أخلاقنا انحلالاً ، ومن جيوبنا ثروات ، وتلك صحف أخرى تروج لفرنسا الغاشمة الآثمة المعتدية على شرف العرب وحرية العرب ، تلك الدولة التي تحاول فرنسا شمال أفريقيا وقتل العربية والاسلام في نفوس ناشئتها وجعلها ولايات فرنسية تمثل في برلمان فرنسا ، وتدين بأدب فرنسا ، وما تعد فرنسا من هذه البلاد إلا رجلاً تقودهم الى القتل في ميادين الحرب دفاعاً عن أرضها فيذهبون فدية لأبنائها ، فيراق الدم السامي الدميم ، فداءً للدم اللاتيني الكريم . وهذه انجلترا تتغلغل بدعايتها السامة في جسم الشرق فتقتصر حزباً على حزب ، وطائفة على طائفة ، وتلعب بعقول أولاء وهؤلاء ، ومن وراء ذلك كله مصالح انجلترا لا تعرف في سبيلها ذمة ولا شرفاً ولا وفاة ، وتجد منا من يقولون إنهم شرفاء ، وإنهم معقولون ، وزاد الطين بلة أن هؤلاء الشرفاء المعقولين قد رموا الشرق بكل أفاق مجرم من أهل شرق أوروبا الدائنين بالصهيونية وأسكنوهم فلسطين التي هي كبد الشرق ونور عينه المبصرة ، زاعمين أن هؤلاء القنلة السفاحين مظلومين مشردين ، فباسم الانسانية ينصفون ، ولكن بقطعة من أرض العرب وعلى حساب العرب . على أن هؤلاء إنما ينظرون إلى شرق الأردن باعتبارهم فلسطين الشرقية وإلى لبنان والشام باعتبارهما فلسطين الشمالية ، وإلى بلاد العرب والعراق ومصر باعتبارهما مناطق النفوذ الصهيوني . ومع قيام كل هذه الحقائق التي تدمغ جبين أعق الناس لاحق ، تحاول بريطانيا أن تثبت من أقدامهم ، وأن توثق لهم في فلسطين ولو جلد ضباطها وخفف نضاتها جبهة من منصّة العدل في رائحة النهار ، ولو عجزت عن تنفيذ حكم الاعدام في مجرم قضت العدالة بأنه عضو فاسد في جسم الجماعة الانسانية ، وتقف مترددة بين أن تقدم وبين أن تحجم ، كأنما هذه الصهيونية هوة سخيفة تكاد تبتلع من ؟ تبتمع بريطانيا . كلا ، وإنما هي

السياسة التقليدية ، سياسة الجور والعدوان والظلم الصارخ والآفك الموروث . سياسة شرق
يؤكل وغرب يأكل .

ليس كلامنا هذا بحاجة الى دليل منطقي وقد قامت عليه الأدلة المادية تؤيده وتدفع
عنه الشبهات . هو الحق الصارخ المدوي : والساكت على الحق شيطان أخرس .
أنظر ماذا يقول الصهيونيون ^(١) .

« لا نقاتل في صبيل تحقيق حصّة معينة من الهجرة اليهودية ، بل نربي الى تحقيق
الهدف التاريخي الذي تتوخاه أمتنا : وهو تحرير أرضنا من الحكم الأجنبي » .
١ — أصبح هؤلاء وطن يريدون تحريره من نير الحكم الأجنبي : بالطبع حكم العرب وحكم الانجليز .
هل سمعتم أيها العرب بسفاهة تملو هذه السفاهة . أو قلحة تبذ هذه الوقاحة ؟ أو رأيتم وحوشاً كواسر
تود أن تلغ في دماء العرب ، أشد من هؤلاء اقتراساً أو لصوصاً أنهم لصوصية ؟
يقولون :

« إن صداقة الشعب البريطاني لأمتنا أسطورة تمزقت إرباً في هذا الجيل ولا سيما في
أثناء إبادة ستة ملايين يهودي في أوروبا .

٢ — الانجليز الذين طادوا العرب وقبوا ثورتهم الحقبة بكل سلاح دفاعاً عن اليهود والصهيونيين قبيل
الحرب العظمى ، الانجليز الذين لما شملكم على حساب العرب ، وأسكنوكم أرض العرب عدواناً وظلماً ،
الانجليز الذين وضوا السلاح في أيديكم لتقتلوا العرب وتنزعوا عنوة أرض العرب ، تمزقت صداقتهم
بالنسبة اليكم في هذا الجيل . لماذا ؟ لأنهم لم يحولوا بين هتلر وقتل ستة ملايين يهودي . ولكن اسقوا أيها
الصهيونيون أحلافكم القدماء وأعداءكم اليوم هذه الكأس المرة ، فانهم ولا شك يستحقون ما هو أمر
منها مذاقاً .

يقولون :

« سنعمل على مواصلة النضال فيما وراء حدود فلسطين . طبيعي أن نستمر على الهجرة

غير المشروعة .

(١) نقلت الصحف أن مراسل وكالة « اليونايتد برس » وجه الى الارهابيين في فلسطين أسئلة تلقى عنها

ردوداً تقتطف منها هنا ما نعلق عليه . الامرام ١ / ١ / ١٩٤٧

٣ — معنى هذا أيها العرب أن البحر وراءكم والعدو أمامكم ، الصهيونيون يتطلعون الى ما وراء فلسطين . ألم يشبه يهودي في شرق الاردن بدمه ؟ ألم يخرج موسى بشعب اسرائيل من مصر ؟ أليس لليهود متجبر في العراق ؟ أليس لهم صيرفي في الشام ؟ أليس لهم أفلاك أو قصاب في لبنان ؟ أليس لهم جالية حقيرة في اليمن ؟ أليس لهم بقية في بلاد العرب ؟ فكيف إذن لا يتطلعون الى ما وراء فلسطين .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

يقولون :

إذا هاجمنا العرب الذين لا نسعى الى قتالهم فسنحتمي أنفسنا . وإذا شنوا هجوماً على المستعمرات اليهودية فسنرد عليهم بالحرب .

٤ — المعنى المفهوم من هذه العبارة ، على حد أسلوب الشراح ، ان العرب الدخلاء إذا هاجمونا نحن الاصلاء ، فسوف نشحن فيهم ونقتلهم شر قتل ، أما الهجوم على المستعمرات اليهودية فسنناه الحرب . الحرب تملئها دولة الافاقين على أعجاد العرب . أما القول بأنهم لا يسمون الى قتال العرب ، فسرمد خدعة عجيبة ، هي أن هنالك عدواً ثالثاً هو الانجليز ، فاذا تخلص الصهيونيون من الانجليز ، فالطبيعي أن يتحولوا الى العرب ليخرجوهم من أرضهم .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

ذوقوا فتنكم . ذوقوا مرارة الانقسام والغفلة والتهاون . ذوقوا مرارة التواكل والبغضاء والتقاطع . ذوقوا ما تنتج سخائم الأنفوس وحفيزات الصدور .

من العرب الآن من يعامل يهوداً ، ومنهم من يمد يده لليهود ، ومنهم من يشارك اليهود ، ومنهم من يشجع اليهود على للسيطرة على الصحافة العربية ، قلب هذه البلاد النابض ، ولسانها القائل ، وعينها المبصرة ، ووعيتها الحي .

نعم . صادقوا اليهود ليخرجوكم من أرضكم ، صادقوهم ليقتلوكم ، طاموهم ليسرقوكم ، صاحبوهم ليضلوكم ، ثقوا بهم ليفسدوكم ، قدّموا اليهم أيديكم ليلقوا بكم في جهنم .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

ولنعمد بعد ذلك الى فرنسا الغاشمة ، عدوة الاسلام وعدوة المسلمين ، فننقل شهادة واحد من أهلها . قال الأستاذ جوستاف لوبون (١)

(١) حضارة العرب من ٩٣ الترجمة العربية للاستاذ زعيرة

« ويجمع أولئك الحضريون والأعراب على مقت الأوربيين القاهرين لهم وحقدهم الشديد عليهم . ويضحى الجزائري ، الذي نصفه بالخليّ المتعدد المكسّال القانع الوضيع المتزيد ، بماله ونفسه . ويشترك في كل عصيان وتمرد للخلاص من حكم الأجنبي الذي فتح بلاده ، وقد تم إبادة عرب الجزائر بوسائل منظمة كالتي اتخذها الأمريكيون لإبادة أصحاب الجلود الحمر . ولكن الذي اعتقده هو أن الفرنسي لن يستطيع حمل الجزائري على التفرّس ، وإن من المتعذر أن يسود السلام في قطر واحد بين العرب والفرنسيين الذين ينتسبون إلى عرقين مختلفين . وقد سمعت هذا الرأي الذي يجنب تدوينه في الكتب عادة من جميع أولي البصائر في الجزائر ، واني أوافق عليه موافقة تامة . »

تمت أقوال جوستاف لوبون ووقع فيها بامضائه ، كما يقال في محاضر الشرطة . وإذن ففي شمال أفريقيا العربي المسلم معركة بين العرب وفرنسا ، معركة تحاول فيها فرنسا القضاء على أهل هذه البلاد بوسائل أمريكية استخدمت في القضاء على أصحاب الجلود الحمر . أما وأن فرنسا لا تستطيع اليوم ، وقد فتح العالم عينيه على مفاسدها الاستعمارية ، أن تمحو العرب من شمال أفريقيا ، فهي تعمل على فرنستهم . وأول خطوة يخطوها مستبد أسمى في هذا السبيل هي القضاء على شيئين : اللغة والدين ، وبمعنى أفصح وأظهر : العربية والاسلام .

يأبناء العرب : ذوقوا فتنتكم . ذوقوا صرارة الغفلة . ذوقوا علقم ما أمدتكم به الباطنية والتصوّف والزهد وخلع رداء القوة التي هي روح الاسلام ، وارتداء أثواب الضعف والمسكنة والذلة ، التي هي روح الوثنية .

يأبناء العرب : لقد أقمتم لسكل معنى من معاني الضعف وثنا عكفتم عليه ، فخطموا اليوم هذه الأوثان ومزّقوا أغلالها وارموا في وجه كل فرنسي بحجر من أحجارها ، وفي وجه كل مستعمر يحاول أن يأكلكم بقذيفة من بقاياها . فإن لم تفعلوا فأنتم المأكولون ، وأنتم المفرسبون وأنتم المكلنزون ، وأنتم المؤمركون ، وأنتم الخاسرون في الدنيا وفي الآخرة . وإنما أخراكم هي ثمرة دنياكم ، والامر ببيدكم ، فإذا أردتم فإن ارادة الله معكم ، وإذا لم تريدوا فقد أتتكم آياته فنسيتموها ، وكذلك اليوم تنسون ويحل عليكم عذاب مقيم .

يأبناء العرب : اذكروا دائماً قوله عبد الحميد طاغية الترك : إن أوروبا تحاربنا حرباً دينية في قالب سيامي .

على أن فرنسا حتى بعد أن فتح العالم عينيه على مفاسدها الاستعمارية لا تزال تجري على سياسة الفرنسية في شمال أفريقية ، فأخذت تلوح لآخواننا الشماليين باصلاحات فجّة غثة ، لتصرفهم عن طلب الاستقلال وعن نواياها في « الفرنسية » ، وقد علمت من ثقة أن هنالك مشروعاً للتعليم كفيّل بأن يفرنس شمال أفريقية في ربع قرن من الزمان ، يوضع الآن موضع التنفيذ الى جانب محاولات ترمي الى كف العميون عن النية الخبيثة المبيتة لأهل هذه الأقطار العربية الصميّة .

ولقد نقل هنا شيئاً من تلك الدعاية الواسعة التي تنشرها فرنسا مظهرهً حديثها الكاذب على أهل تلك البلاد بعد أن أمعنت فيهم قتلاً وخملاً وتجرّيحاً ، وبعد أن أنزلتهم أحط دركات الجهل والفقر والجوع ، وبعد أن نشرت في بلادهم شعور الخوف ، وأذاقهم مرارة النقص في الأنفس والأولاد والثمرات ^(١) .

فقد نقلت الصحف دعاية فرنسية طويلة عريضة عن شمال أفريقية تحت عنوان « سياسة التقرب من المسلمين » ، وهي في الحقيقة الواقعة « سياسة فرنسة المسلمين في شمال أفريقية » ، وهي في مجموعها ضحك على ذقون أهل الاسلام وأهل الشرق ، دعاية ظاهرها التقرب وباطنها الاستعمار ، وغرس كل سيئة من سيئات الخلق الفرنسي في نفوس هؤلاء العرب ، واقتلاع كل فضيلة شرقية ورثوها مع الأجيال الطوال . ولقد حدثني نابه من أهل تلك البلاد فقال : إن أصحاب المسؤولية من الفرنسيين ، وهم بالطبيعة أولئك الذين يعملون على فرنسة شمال أفريقية ، يعتقدون أن أكبر عقبة في سبيل سياستهم الاستعمارية هو « القرآن » . فانظر ربك ماذا نكون اذا صحت هذه الرواية ، وهي ولا شك صحيحة ، ان لم تكن صحيحة آتية عن طريق النقل ، فإنها صحيحة من طريق الواقع .

(١) أنظر الامرام في ٢٠ من يناير سنة ١٩٤٧ .

جاء في تلك الدعاية أن فرنسا عفت عن متهمين جزائريين ، وأنها عينت وزيراً مفوضاً مسلماً ، وعينت مستشارين مسلمين ورئيساً مسلماً للحكمة الجزائر ، وشرعت تدرس الحضارة الإسلامية في السوربون ، وأخذت تنظم الضمان الاجتماعي وتنظر في مشكلة الأيدي العاملة ، إلى غير ذلك من الآفك الذي يجعل أن يدعيه قاطع طريق لا حكومة متمدينة في القرن العشرين .

تمن فرنسا على أهل شمال أفريقية بذلك كأنما هي تقول لهم « أيها الأفارقة » : أنظروا كيف أنزل عن كبريائى وأندنى اليكم ، فأعين منكم وزيراً مفوضاً ، ومستشاراً مسلماً ، ورئيساً مسلماً للحكمة !!!

أما إذا كان للخجل حمرة ، فإنها ولا شك لم تعرف وجه فرنسا .



إن مشكلة فلسطين ومشكلة شمال أفريقية هما أعضل مسائل الشرق والغرب . على أن ما في تينك المشكلتين من تعقد وجود إنما هو راجع قطعاً إلى أن أوروبا تحاربنا حرباً دينية في قالب سياسي . وإلا فأين الحق الذي ينادي به مهرّجو السياسة الأوروبية والأمريكية ، وأين حق الأمم ، وأين تقرير المصير ، وأين حرية الشعوب الصغيرة ، وأين ضمان حقوقها ؟ أين كل هذا إذا كانت أبسط الحقوق الجلية الظاهرة تصبح بين أيدي هؤلاء مشكلات أعقد من ذنب الضب .

لقد خرج العالم من الحرب الأخيرة وقد طبقت آفاهه الدمايات صارخة بأن العدل قد سحق القوة . ولكن لم يكد السلم ينشر رواقه حتى أنسنا من أصحاب العدل وأصحاب الحرية الذين شذخوا آذاننا طوال سنين بأنهم حفظة العدل والقوامين على الحرية ، إنهم إنما يتبعون موحيات القوة ويتكلمون بلسان القوة ، وما هي ذي جيوشهم يبعج بها الشرق وأسلحة فرنسا تروح وتغدو عبر آسيا لتقتل رجال الشعوب الصغيرة في أندونيسيا والهند الصينية ومدغشقر باسم الحضارة التي تعمل على فرنسا كل شهر من أرض تطأه قدم فرنسية إذا كان المبدأ الأساسي في العدل الدولي هو ذلك المبدأ الذي قرره ميثاق الاطلمنطي

إذن يكون
الخاصة من
المقررة في
قامت عليها
وبربك

لأمر لا تر
من الصور
نضرب

الدولي أن
تسكنها . و

من الشعوب
إلى تلك المؤ
لصالح الصهي

إذا كان

العرب يرجع
أحداث الزمن

تاريخ البشرى

إن واجه
بكل ما أوتي

الشرق يأبى

جزء ٥

إذن يكون لكل دولة من الدول الحق في أن تناضل حرة طليقة في سبيل تقرير أمورها الخاصة من غير أن تتعرض لعدوان دولة أو دول أخرى . وهذا المبدأ إن كان من المبادئ المقررة في القانون الدولي ، إلا أنه قد حاز قوة أكبر بأن أصبح الفكرة الأساسية التي قامت عليها هيئة الأمم المتحدة .

وبربك ما هو العدوان ؟ هو أن تتذرع دولة بالقوة لارغام دولة أخرى على الخضوع لأمر لا تريده ، أو اتخاذ موقف تأباه أو يتعارض مع مصالحها . هو على الجملة تدخل بصورة من الصور في أمور دولة أخرى أو شعب يريد أن يكون ذا دولة تدخلاً تعززه القوة .

نضرب بذلك مثلاً دعوى الصهيونية في فلسطين . فإن من الأشياء المسماة في العرف الدولي أن طول العهد بامتلاك بقعة من الأرض ، يوثق حق أية أمة في امتلاك البقعة التي تسكنها . وإذا كانت هذه الحجة هي حجة كل قانون دولي أو غير دولي يستند إليها شعب من الشعوب في امتلاك الأرض التي يسكنها ، كان حق العرب في فلسطين واضح لا يحتاج إلى تلك المؤتمرات التي لا ترمي إلا إلى انتزاع فلسطين من العرب بوثيقة يوقع فيها العرب لصالح الصهيونيين ، صنائع بريطانيا .

إذا كان ما يدعي الصهيونيون من حق في فلسطين راجع إلى وثائق تاريخية ، فإن حق العرب يرجع إلى أكثر من ألف سنة ، وحق اليهود يرجع إلى ذكريات كادت تنفسي عليها أحداث الزمن . وإذا كان حقهم راجع إلى وعد بلفور ، فإن هذا الوعد أشنع عدوان يذكره تاريخ البشرية جميعاً .

إن واجب كل عربي واضح لا يحتاج إلى بيان . واجب يحفز كل عربي إلى الجهاد بكل ما أوتي من قوة ومال وجه حتى يستقر حق العرب في فلسطين ، ويعترف الغرب أن الشرق يأبى الآن أن يؤكل كما أوكّل في الأيام السوالف .

سامعيل مظهر

العائدون

رأيتهم كما كنت أراهم قديماً ، يجلسون منفردين في شمس الشتاء أمام مقهى المعلم شيخه ،
 يترشفون القهوة ويدخنون الطباقي في القصبات الطويلة ويسعلون ويبصقون على الأرض .
 وقد اطمأنت نفوسهم وخفت حدة الكبرياء التي كانت تملؤهم وقلّ التحدي الذي كانت
 ترسله نظراتهم للناس في ازدراء واحتقار . واتجهت أبصارهم إلى تراب الأرض وكانت
 لا ترضي السماء متجهاً لها .. تماماً تماماً ، كما كنت أراهم قديماً . ورأيتهم فيهم ، قد عاد مثلهم ،
 إلى شمس الشتاء أمام المقهى يترشف القهوة ، وقد سكنت نفسه وخفت حدة الكبرياء
 التي كانت تملؤهم وقلّ التحدي الذي كانت ترسله نظراته للناس في ازدراء واحتقار واتجه
 بصره إلى تراب الأرض . يا للأقدار ! .. إن عجلة الزمن لتدور دورانها السريع الغريب ،
 وإنها لتقلب الأوضاع ثم .. ثم لا تلبث أن تعيدها .. ثم تقلبها لتعيدها ثانية ! .. لقد
 رأيتهم فيهم وعرفته سريعاً ، وكنت أنوي أن أحبيه ، ولكنني زاحمني ، أعني من نظراتي ،
 واتجه ببصره إلى .. إلى تراب الأرض .. ولكن ؟ .. أكان اتجاهه للأرض وهروبه من
 مواجهتي بنسبي إياه ؟ .. مطلقاً ، لقد عرفته سريعاً ، ومرّت بخاطري كل أحداث قصته ،
 من بدئها حتى هذه اللحظة التي رأيتها فيها .. إنها ليست قديمة إلى حدّ النسيان .. إنها
 قريبة لم يتعد عمرها السنة الرابعة .. أجل أربعة أعوام هي كل عمر قصته على التحقيق ،
 فقد كان ميلادها على بصري ومممي وفي رمايتي .. إنني أذكر ذلك جيداً جيداً .. أذكر
 هذه الأمسية التي أتى فيها ذلك الفتى إلى منزلي يطلب مقابلي ليخطب زكية خادمتنا الشابة
 ومعه أمها . ومممت أم زكية وهي تقول لي : يا سيدي لقد جاءني هذا الشاب يخطب زكية ،
 وأنا كما تعرف يا سيدي أرملة جاهلة مسكينة لا مائل لي أو لبناتي اليتيمات ، وقد قت أنت
 يا سيدي برماية زكية حتى نصجت في رمايتك ، وأريد منك اليوم أن تم جيلك معها فتتولى

أمر هذا الزواج وتبعه برأيك السديد ، فإن رأيته صالحاً مناسباً ووافق رضى من نفسك فافعل والله لا يضيع أجر إحسانك ورعايتك لهذه اليتيمة وحين انتهت الأم من حديثها هذا ، بدأت أسأل الفتى عن اسمه وعمله وأسرته وحالته الاجتماعية إنه شاب في السادسة والعشرين من عمره تقريباً ، أثمر البشرة معروق الجسد له شارب صغير وشعر طويل لا تغطيه قلنسوة أو نحوها ، ويرتدي ثياب أجنبية ينهى شكلها وحركاته هو فيها عن أنه حديث عهد بلبسها وحين سألته عن عمله أجاب بأنه عامل ، واستوضحته أي عمل يعمل فقال خراط ميكانيكي . قلت فهذا عمل حسن في صناعة ناجحة موفقة ، ولكن أين تعمل أفي مصانع الحكومة أم في مصانع الجيوش المحاربة ؟ قال باستعلاء : وتجد في مصانع الجيش البريطاني وعرفت منه أن أجره في الشهر يتعدى الستة من الجنيهات ، وهذا مبلغ لا بأس به يكفي حاجة منزل معتدل لأسرة صغيرة تتكون من زوجين كسيد هذا وزكية ثم أتممت استيضاحاتي كلها منه ، وكانت كل إجاباته مما يطمئن تقريباً . وكانت أم الفتاة تحبب معه في معظم إجاباته . وكانت زكية تحوم حولنا متعلقة بقضاء بعض الحاجات لتسترق السمع ولتطمئن على نفسها ، فكنت ألمح في عينيها لمعة الفرح والرضى لكنني مع كل هذا ، كنت أرى في عيني سيد هذا ، شيئاً غريباً يكاد يكون مناقضاً لما بيديه أمامي من تأدب وخشية أقول كنت أرى هذا الشيء الغريب في عينيه حتى بعد أن استعادت عن عمله وبعد أن سألت عنه في موطنه القريب منا كنت في حالة تشبه عدم الرضى عن هذا الخاطب رغم تأكدي من صدقه في معظم ما أجابني عنه . لست أدري لماذا ؟ ولقد كاشفت زوجتي بشعوري هذا ، فأبدت موافقتها لي في هذا التشكك . ثم . . . ثم حدثت هذه الزوجة الطيبة فترددت وخالفني وأخذت تلح علي في قبول هذا الزواج وإنهائه وترك هذا التشاؤم والتشكك ، بعد الذي رأيته من إقبال الفتاة وسرورها . وبعد الذي نمي إليها من أن الفتاة تميل إلى الشاب الخاطب وأنها تبادل له عاطفة وحباً قديعين والذي الآن من تشبهي ، ولم يبدد من شكّي شيئاً مع ذلك ، هو ميل أم الفتاة إلى إنهاء هذا الزواج ، ورضاؤها عنه . وكانت زوجتي الطيبة تقول لي : مالك متردداً متشككاً ؟ فأجيبها بما في نفسي من قلق وحيرة وشك ، صديها هذا الشيء الغريب الذي كانت تنبئني به عينا الفتى ، ومن أن فتاة مسكينة

كزكية خدمتنا هذه الحقبة الطويلة من الزمن بنزاهة وإخلاص حتى صارت منا كالأبنة
وصرنا منها كالأهل ، لا يجب أن نتساهل في أمر تزويجها هكذا سريعاً ولأول قادم ، بل
يجب أن نتروى وننتظر حتى يأتيها زوج مناسب معروف لنا أو لامها من قديم ، ونعرف
أهله ونمأته وصيرته ونعرف له عملاً ثابتاً دائماً بدل العمل الموقوت في مصانع موقوتة
كمصانع الجيوش المحاربة . . . وكنت أقول لها ، لزوجتي ، إن مجرد مجيء أي شاب
يشغل في صناعة معروفة ناجحة بمصانع الجيش البريطاني ومرتبته يزيد عن ستة جنيهات
وإنه يمكن في عطفة ربّي بدرب الملحفة لا يكفي مطلقاً ضماناً لقبوله زوجاً . ليخيل
إليّ يا زوجتي العزيرة الطيبة أنه فتي من هؤلاء الفتيان المتعطلين الذين يعملون المقاهي البلدية
ويسرون في الطرقات يتسكعون في شمس الشتاء الدافئة أو ظل الصيف يتبادلون بنديء
السباب والشتائم ويتجاوبون الضحكات الغليظة النابية ، وأنه إنما يكون رزق هذا العمل
بسبب ذلك الزواج الذي سببه الحرب والذي لا يلبث أن يزول بزوال الحرب وبمدها يعود
الفتى إلى رفقته وإلى تسكعه وإلى مقهاه البلدي وإلى تبادل السباب البذيء مع رفاقه . .

ولكن زوجتي هذه الطيبة القلب ظلت بي تجادلني وتحاورني وتقنعني بأنه مهما يكن
من أمر ، فن سيتزوج هذا الفتى ؟ أليست فتاة كزكية يجعلها سيده بيت وأم أولاد ؟
أفليس هو وهي من بيئة متحدة في الفقر والجوع والشبع بل والطباع والعادات في الأغلب الأعم ؟
وكان آخر ما صنعه ممي زوجتي في شأن هذه الزيجة ، أن دخلت عليّ حجرتي الخاصة
ذات مساء ، وأخذتني من يدي بقوة وقادتني نحو غرفة الخدم ، وكانت زكية بداخلها وحدها
ثم أوقفتني بعيداً بحيث لا ترانا زكية بينما نراها نحن ونسمعها بسهولة ، فإذا سمعت وماذا
رأيت ؟ يا لعجي يا لدهشتي . . . هذه زكية تبكي بحرقة ومرارة وتندب حظها السيء الذي
جعلني أقف حائلاً بينها وبين أمنيتها العزيرة في الحياة والتي هي الزواج من سيد بالذات . .
رأيتها بعيني وممعتها بأذنيّ تنتحب وتردد في ولولة حزينة مؤثرة : يا مصيبي السوداء . .
يا حظي النعس المنكود . . يا ربّي ماذا صنعت من شرّ لسيدي حتى يحول بيني وبين راحتي
وسمادتي . أجزاء إخلاصي له ولأولاده كل هذا الزمن يكون تعذيبي وتصيبع حظي يا رب . .
يا رب خذني إليك وأنه حياتي بدل هذا التعذيب والعناء . . ، وكلاماً آخر كثيراً غير ذلك

ثم تزيد فتلطم وجهها وتشد شعرها .. فعدت متخاذلاً كئيباً وصوت زوجتي الطيبة يرن في أذني : أصمتت أرايت ؟ أفبعد كل هذا لا تزال مصرّاً على انتقاء زوج آخر لها أصلح من هذا الزوج ؟

وتمّ الزواج .. أعني زواج زكية من سيد بعينه .. ومصرّاً عام للزواج وطام .. وتبع العامين عام ثالث ثم - ثم ماذا ؟ أكان زواجاً سعيداً موفّقاً كما أمّلت زكية ، وكما تمّنت أمها ، وكما كانت ترجوه زوجتي ؟ .. الواقع أن الزواج ظلّ سعيداً عدة أسابيع بعد الزفاف أو لعلها بضعة شهور ، ثم أدركه شيء من الملل .. أعني ملل الزوج وضيقه بحياة الاستقرار والأمن والدعة والركون إلى منزل محدود تدبره فتاة طاقلة قلعة مثل زكية ، وراوده ميل وحنين إلى حياته القديمة والسهر مع رفقة القدامى الذين انتزعته منهم حياة الزوجية ، والذين أنعمهم رواج الحرب وتيسير العمل المستمر والكسب المتصل وزوال البطالة والتعطّل والكساد .. فعاد إليهم ولقوه فرحين بعودته .. وسرّه أن رآهم ورأى المقهى في نشاط عجيب وانتعاش غريب وممرّ لذيذ ونور غامر ودفء لطيف .. إنه تغيير هامل للحال القديمة ، فهذه الزحمة وهذه الحركة وهذا السرور ، ثم هؤلاء الرفقاء قد تغيرت جلستهم وتغيرت هياكلهم وتبدلت مشروباتهم التي لم تكن قديماً تنعدي تنكة القهوة أو قصبية الطباق الطويلة فاستبدلت تنكة القهوة بأكواب الشاي والسحلب والبندق بل وبالخمر أيضاً ، واختفت قصبية الطباق الطويلة وحلت محلها النارجيلة الأنيقة . وراعت هذه التغييرات وتلك الانقلابات ، واستهوت ، وصادفت من نفسه غراماً وهوى فأقبل على السهر واندمج مع الرفاق وجاراهم في الاتفاق والشراب والسهر وتردد معهم على دور السينما .. وهذه السينما هي الأخرى قد جدّت في حياتهم ولم تكن هوية قديمة فيهم وإنما شجعهم على ارتيادها وأغرامهم بها هذا الرواج الجديد الذي صببه العمل المستمر والكسب المنظم .. وزادوا على السينما ، لونا آخر من ألوان المتاع هو بالضرورة لازم وهام لمن يسهر في المقهى ويشرب الخمر ويرى في دور السينما الرقص الخليع والأجساد الرخيصة العارية ، ويستمتع إلى الأغاني الرقيقة ويهاهد المغامرات المبتذلة الدنيئة .. هذا اللون هو النساء وعشق النساء ومواعدهنّ

وصحبتهم إلى دور السينما والسير معهم في الطرقات والأزقة المظلمة بالمقهى . اندمج الزوج تماماً في هذه الحياة وأحبها وكلف بها وصار ينظر إلى البيت ، أعني زوجته وأولاده نظرة ضيق وكره . . . وصار مرتبه لا يكفي لحياة هذا البيت ، ولهذا الحياة الساهرة اللاهية المعقدة ، وكثرت النفقات وزادت عن المرتب ، واضطر الزوج إلى الاستدانة والقرض ، والاستدانة لا تتم إلا برهن ، ومن أين له ما يرهنه ليحصل على المال ان لم يكن هذا الذي يرهنه قرط زكية أو خاتمها أو عقدها أو بعضاً من نحاسها أو أثاثها أو حتى ثيابها وثيابه . . . وظل على ذلك وما يُرهن لا يُرد . . . وليثي الراهن معذور في عدم رد الرهنية فهو يعطيه المال برهنته على عِدَّة فتمضي العِدَّة وسيد لا يرد المال لأخذ الرهنية وليثي ينتظر وينتظر ثم يتصرف في هذه بالبيع أو نحوه . . .

وتغيرت أخلاق الفتى ومعاملاته وأحاديثه تبعاً لكل هذا الذي جدَّ في حياته فقسا على زوجته وعلى أولاده وضاق بها وبهم ، فالحديث الحاد المرتفع ، والسباب القاسي ، والضرب الموجه ، كل هذه صارت لازماً مكملة لشخصيته .

وكانت زكية تزورنا كثيراً وتشكو إلينا وتحدثنا بكل هذا وهي تنفطر حزناً وحسرة وكنت أستمع لشكواها وأتألم لها وأعيرها اهتماماً كبيراً . وأنظر إلى زوجتي نظرة تعرف معناها جيداً . إنها نظرة لوم وعتب قاسية . فقد كنت أزجو لزكية زوجاً يكافئها إخلاصاً وحباً وعظماً واهتماماً بشؤون البيت والأمر ، وكنت بسبيلي لرد هذا الزوج المستهتر لولا . . . لولا القضاء المقدور والقدر المسطور ، كما كانت زوجتي تقول .

تلك كانت أعوام هذا الزواج الثلاثة ، وذلك هو وصفها الدقيق الصادق لا تزيد فيه ولا مبالغة ، بل قد يكون الوصف مقتضباً ناقصاً كثيراً جداً عن نفس الصورة الحقيقية . وما أدري ما الذي يشغلني ويهمني جداً ويرغمني ارغماً على متابعة أخبار هذا الزواج وأحداثه ، مع اعتقادي الجازم بأنه واحد من عشرات ألوف الزيجات التي تمت بسبب هذا الزواج وذلك الانتماع للذين أوجدتهما الحرب ، لا أكثر ولا أقل . است أدري ما سبب ذلك الاهتمام مني ، وما أدري ، بالضبط إن كان السبب هو قلقي على مستقبل فتاة كزكية خدمتنا باخلاص وأمانة توجبان الوفاء لها ؟ أم هو القلق على مستقبل أطفالها

من جراء
هاتيك الزو
الآلوف من
الآلوف من
والذين سي
ولا يجتمع
سيرة آباءهم
مبعث قلقي
وذات
دامعة العين
غير قصيرة
بعد ان أتى
هذان أمر
لا تكاد تقو
ولم يكن
أكلف أحد
واطمأن باله
الوعد ، فقد
الطبيعي وحكم
المعتدل ، ور
لم يكن
وتطبيقها ، هو
زوجتي الطيبة
بعد شهرين
من جديد ؟ و
المستغنى عن
أمثاله المتمرد
أصابه . . .

من جراء سلوك هذا الزوج المستهتر الاحق؟ أم هو القلق على مستقبل عشرات الآلاف من هاتيك الزوجات أمثال زكية اللاتي كان رواج الحرب الموقوت سبب تزويجهن من عشرات الآلاف من الأزواج المستهترين الحقى أمثال سيد؟ أم هو القلق على مستقبل مئات الآلاف من أبناء هاتيك الزوجات وأولئك الأزواج، الذين سيكونون جيلاً آخر حديثاً والذين سيصيرون، حتماً كأبائهم عاطلين لا يجدون عملاً يقتاتون منه ولا يهتم بهم أحد ولا مجتمع ولا حكومات. والذين سيظلون في عطلتهم ينتظرون حرباً جديدة ليعيدوا سيرة آبائهم فيتزوجون وينسلون أولاد الآلاف و... و...؟؟ ربما كان كل ذلك جميعه هو مبعث قلقي وتفكيري وشغلي وتبعمي لاخبار هذا الزواج وأحداثه وأنبائه...!

وذات مساء، بعد مرور هذه الأعوام الثلاثة، وجدت زكية تدخل على حجرتي دامعة العين حزينة القلب... وسألتها عن خطبها فما استطاعت أن تغالب البكاء إلا بعد فترة غير قصيرة. قالت لي: لقد طلقني البيلة ياسيدي. طلقني الآن وطردي بأولاده الثلاثة بعد ان أتى على كل ما أملك وأضاعه ماذا... ماذا أصنع يا سيدتي؟ لو كنت وحيدة لكان أمري، لكننا أربعة أنفس نحتاج الطعام والكساء والمأوى الأمين، وأمي مسكينة لا تكاد تقوى على كفاية نفسها وقيمتها؟

ولم يكن الطرف مما يحلو فيه اللوم، فعمدت الى مواساتها بكلمات طيبة، ووعدتها بأن أكلف أحد المحامين بشكوى هذا الزوج الغادر المتمرد وإلزامه بنفقاتها هي وأولادها، واطمأن بالها بعض الشيء وخرجت من عندي وقد خفت حدة الألم في نفسها. ولم أكذبها الوعد، فقد كلفت أحد المحامين المعروفين برفع دعوى النفقة وصارت الدعوى في طريقها الطبيعى وحكم لها بنفقة شهرية قيمتها ثلاثمائة قرش. وسرّني وسرّها هذا الحكم السريع المعتدل، ورحنا نتأهب ونعد العدة للتنفيذ وحجز قيمة النفقة من راتبه الشهري. لكن... لم يكن تمرّد سيد على زكية، وإيذاؤها، والاستيلاء على مناعها وإضاعته، ثم طردها وتطليقها، هو كل ما كنت أتوقعه وأخشاه من هذه الزيجة قبل إبرامها، كما أخبرت به زوجتي الطيبة في حينه... فقد تمّ ووقع بالفعل أقصى ما كنت أتوقعه... فقد جاءني زكية بعد شهرين من تاريخ صدور حكم النفقة، ممتعة الوجه واجفة القلب... ماذا يا زكية؟ هل من جديد؟ وأجابت بذلة وحسرة بالفتين: لقد رُفّت... رُفّت الفاجر وطرده من عمله في المستشفى عنهم جزاء تمرده وإساءته إلي... لقد استغنوا عنه ووفروه مع عديدين من أمثاله المتمردين. لكنني يا سيدتي أرى أن هذا الرف والطرده ليسا عقاباً له أو مصيبة أصابته... لكنها مصيبة لي أنا ولأولادي بالذات... من أين سأأخذ النفقة التي قدرتها

الحكمة؟ من أين لي غذاء هؤلاء الصغار؟ .. وبلغ بي الألم حدًا كبيراً فضغطت أسناني بعضها ببعض ولم أستطع الكلام، ولكن زوجتي اللبقة قالت علي الفور وفي حماسة واندفاع، هذا لا يهم .. معنا حكم ننفذه فإن عجز عن الدفع حبسناه وأدخلناه السجن، وفي السجن مذلة له وانتقام كبير. وابتسمت أنا ابتسامة باهته حزينة لهذه الزوجة الطيبة البلهاء، ثم قلت موجهًا الحديث لصاحبة الأمر: إسمعي يا زكية، لا أمل يا ابنتي في مثل هذا الرجل ولا فائدة وراء الحكم الذي تحتفظين به، ولا في السجن الذي سيذله ويهينه. إذ ماذا ستأخذين أو تفيدين من سجنه وإذلاله؟ اعتمدي يا ابنتي على الله وثقي بقدرة الله ورحمته. قالت: والله يا سيدي ما أملت في خير مطلقاً يصيبني منه وإني لعامة بنهايته هذه من يوم أن حدثتني ونصحتني قبل الزواج فلم أستمع ولم أنتصع .. أذكرهما بما قولك لي إنها فورة الحرب، وكثرة الأعمال التي تسببها الحرب، وما تلبث الحرب أن تزول فيزول بزوالها كل ما سببته من فورة ومن نشاط ومن عمل ويسرح ألوف هؤلاء العاملين ويعودون إلى حياة التبطل وقد خلفوا وراءهم جيوشاً من الزوجات والأطفال يبحثون عن القوت والكساء. أجل أذكر كل ذلك .. ولكنه عمى القلب وضلال العاطفة أفصياي عن الطريق السوي. لكن الآن يا سيدي اقلت: ماذا؟ قالت: أن أترد ذكره من رأمي وأفكر جدياً في أمري. قلت: فذلك هو الواجب. قالت: أريدك أن تأخذ بيدي. قلت: فأنا لن أتقاسم عنك. قالت: يمكنك يا سيدي بحكم مركزك أن تلحقني بإحدى المستشفيات (تخرجية) في مستشفى قصر العيني أو مستشفى الملك أو مستشفى الأطفال. أي مستشفى .. وأعجبني شجاعة الفتاة، ووجدت من نقمي قدرة على مساعدتها على تيسير عمل لها، ففعلت. والتحقت الفتاة بمستشفى قصر العيني وصارت تسمى لرعاية أولادها الصغار ليكبروا، وليصيروا كأبيهم عمالاً في مصانع الجيوش المحاربة في الحرب المقبلة، ثم في فترة محملهم ورواحهم .. يتزوجون وينسلون، ثم يعودون بعد انتهاء الحرب إلى حياة التبطل والتسكع لا يهتم بأمرهم أحد ولا مجتمع ولا حكومة.

ذكرت هذه القصة الأليمة حين رأيتهم، ورأيتهم فيهم، يجلسون في شمس الهناء الدافئة أمام مقهى المعلم شيخه، يترشفون القهوة، ويدخنون الطباقي في القصبة الطويلة ويسمعون ويصقون على الأرض، وقد اطمأنت نفوسهم، وخفت حدة الكبرياء التي كانت تملأهم وقلّ التحدي الذي كانت ترسله نظراتهم للناس في ازدراء واحتقار، واتجهت أبصارهم إلى تراب الأرض وكانت لا ترضى الماء متجهاً لها .. تماماً .. تماماً كما كنت أراهم قديماً .. قبل الحرب.

محمد طلبة رزقي

كان
والغش، وقد
مقعد وهو
ولأمر ما
ولسكنها قال
الظلام دهشة
وهو أغلام
قالت ذلك بل
الصعب تخمين
من حديث
جناح الفرا
فأين هي ولم
تغير أحوال
فلا يستطيع
لا أعني الآخر
إلى عملي ووا

جريمة أم قصاص

هذه قصة للكاتب القمصى الشهير جوزيف كوزراد وهو بولوني
الأصل الإنجليزي الثقافة ويعتد من كبار القمصين الانجليز . ويريد أن
يظهر في هذه القصة كيف أن سوء الظن اذا استمرى واستفحل قد
يتملك ضمير المرء حتى يحكم بالظن من غير دليل ثم يعاقب بالظن .

كان (س) ربان سفينة حربية وكان طويل القامة وقوراً جاداً صريحاً يكره النفاق
والفسخ، وقد انتهز فرصة إجازة قصيرة فزار حبيبته وجعل يديها حبسه . وكانت مستلقية على
مقعد وهو راكع بجانبها وقد أصلمت إليه يدها فجعل يقبلها وكأنها منمها التعب من تحريكها .
ولامر ما اضطربت أحاسيسها واختلطت في صدرها حتى اهتزت من تنفسها أنفاساً عميقة .
ولسكنها قالت بصوت يكاد لا يختلف عن صوتها المألوف — قص علي قصة — وقد أخفى
الظلام دهشة جليسيها وابتهامته إذا ذكرته نفسه إنه حدثها قبل قولها هذا حديث حبه
وهو أغلاماً يحدث به رجل امرأة ولم يحدثها به لأول مرة فقال — قصة ؟ — « نعم لم لا ؟ »
قالت ذلك بلهجة دلال امتعاض المرأة التي ترى أن رغبتهم نافذة كشريمة القانون ومن
الصعب تجنبها أو اغفالها . فردد قولها لم لا ؟ بلهجة الساخر ، وكان متقاضياً من خروجها
من حديث الحب بسهولة كما تخلع المرأة ثوباً أنيقاً . قالت وكان صوتها يهتز في نبراته اهتزاز
جناح الفراشة في الضوء « إنك قبل هذه الحرب كنت تتقم قصصك وأحاديثك الشائقة .
فأين هي ولم تغيبسرت ؟ » قال — ولكن العالم الآن يقاسي ويلات الحرب والحرب
تغير أحوال النفوس — قالت قص إذا قصة عالم آخر — قال إذا كنت تعنين عالم الآخرة
فلا يستطيع أن يقص عليك قصته إلا من رحل إلى ذلك العالم ثم عاد منه — قالت —
لا أعني الآخرة وإنما أعني عالماً آخر في هذا الوجود — قال سأعود بعد قليل من اجازتي
إلى عملي وواجبي — كأنه بهذا القول يعاتبها لقطع حديث الحب . قالت دعنا من ذكر

الواجب فإنه قد يكون في هذه الأيام أمراً شنيعاً مادامت الحرب قائمة — قال إنك تقولين ذلك إذ تظنين أن الواجب أمرٌ محدود . كلاً إن في الواجب ما لا حد له من الغفران ... ألا ترين ذلك ؟ قال هذا القول وهو ينظر إليها بحدة مدققة النظر — ثم صمت قليلاً وماد فقال سأحدثك بقصة ربان سفينة حربية فهي قصة من قصص عالم البحار وهي قصة حياة وموت — قالت كما في هذا العالم ؟ قال ماذا تتوقعين عند ما يرسل إنسان من طينة هذا الخلق المعذب كي يبحث ؟ وماذا كان يجد غير ذلك عند ما يبحث ؟ وكيف تستطيعين أن تفهمي ؟ قال ذلك وكان يمالج حرارة الألم . ولكنها قالت — هل هي قصة فكاكة ؟ قال ستكون قصة نفسي وربما كانت قصة فكاكة ولكنها فكاكة قاسية مؤلمة بالرغم من أن مدافع السفينة الحربية لم تطلق بل ظلت صامتة كالمنظار الكبير . ولا يغيب عنك إنها قصة عالم مضحك في هزله وجده وفي صده وحربه . وكانت الحرب قائمة فوق الأرض وتحتها وعلى البحار وتحت البحار وفي الهواء . فهو عالمٌ غير حكيم . إلا أن بعض الكياسة لم يخل منها جماعة من التجار في الأمم المحايدة . وكان لا بد من مراقبتهم مراقبة دقيقة فأرسلت الحكومة ربان السفينة الحربية لمراقبتهم حين هاج ان بعضهم يأتي بمخزانات طافية ملؤها الوقود السائل في بقاع معينة كي تلتقطها غواصات الأعداء وتمسك بهذه الوسيلة من البقاء بعيدة عن قواعدها ومن اغراق سفننا الحربية والتجارية بمن فيها من محاربين أو مدنيين من رجال ونساء وأطفال . وبما كان يدهش له ربان السفينة الحربية ان سطح البحر كلما كان يتغير عن حالته في وقت السلم . فكان من الصعب أن يعتد الرأي أن في قاع البحر كميناً مخبأً معداً لهلاكه حتى يرى سفينة تصاب أمامه وتغرق قبل أن تعرف ما حدث لها . ثم ينطوي عليها سطح البحر كأن لم يحدث شيء . عندئذ يوقن انه سيهلك يوماً ما كما هلك أهل تلك السفينة وسيغرق كما غرقوا وربما كان ذلك مباغتة وهو آمن . وعندما يوقن بذلك ربما يحسد جنود البر إذ يمسحون العرق والدم من وجوههم عند نهاية المعركة ويرون أشلاء الذين هلكوا ويرون الأرض الممزقة كأنها تقاوم وتدعى — نعم إنها وحشية ولكنها وحشية صريحة . أما البحر فإنه يدعي أن الدنيا بخير وهي ليست بخير — إذ أنه يطوي في أمماته آثار الجرائم التي تجترم على سطحه . قالت « آه ... اني أعرف انك موصوم

بالصراحة وصدق السريرة والغضب للحق ... ان الغضب للحق عقيدتك « فنظر إليها بقلق وقال « أليست هي عقيدتك أنت أيضاً؟ ألسنا شريكين؟ » ثم عاد الى قصته فقال ان الليل صريح في اخفائه للاشياء في عرض البحار وكأن الليل نفاق صديق قديم قد عرفت نفاقه وألفته واسترحت إليه، أما الضباب فانه يخفي ولا يريح ويفش وكأنه لا يفش . ففي يوم من أيام الضباب كانت السفينة الحربية تسير قرب شاطئ صخري كثير الاخطار بسبب الصخور التي تغمرها المياه واذا خفّ الضباب لاح الساحل كأنما رسم بالحبر الأسود على ورق رمادي اللون — قال مساعد الربان الحربي اني أرى شيئاً طافياً على سطح الماء . وعندما اقتربت السفينة منه رأوا أنه برميل أو خزان وربما كان من تلك الخزانات الطافية التي يلتقيها بعض التجار الجشعين المحايدين كي تلتقطها غوامات الاعداء فتأخذ ما بها من الوقود السائل . هكذا شع الخبر وان لم يقم على صحته دليل إلا اذا كان ما رآه ربان السفينة الحربية ومساعدته دليلاً . قال يحدث نفسه ولكن لماذا لم تلتقط السفينة التجارية الخزان بعد تفرغه . فأجابته نفسه قائلة لعل ربانها رأى ضرورة في الاختفاء قبل التمكن من التقاطه . فبدأ الظن يتحول يقيناً في نفسه وشعر باشمزاز من خيانة بعض المحايدين وغدرهم . فقالت حميمته الذي يتحدثها اني أستطيع أن أفهم اشمزازك . قال نعم فان الغش والخيانة لا يجوزان في الحب والحرب لأن الحب والحرب داعيان يدعوان النفس الى المُثُل العليا ، ومن الجائز أن يسفلا عنها بدعوى ضرورة النصر فيهما — قال واستمرت السفينة في مسيرها فازدادت كثافة الضباب وانقطعت الاصوات أو خفقت لأن الضباب يجعل الاصوات تتضاءل أو تنقطع ولم يستطع إنسان في السفينة الحربية رؤية إنسان آخر . وكأصوت وقع أقدام الملاحين كأنه وقع أقدام أرواح وأشباح . وكان الربان الحربي قد درس هذا الشاطئ وعرف أن أمامه خليجاً فرأى أن يرسو بسفينته في ذلك الخليج حتى ينجلي الضباب وعندما استقرت السفينة في الخليج كان الضباب كثيفاً حتى أنه منع الاعين من رؤية الشاطئ إلا أن صوت الأمواج وهي تصدم ذلك الشاطئ كان يصل إلى السفينة الحربية كأنه من عالم آخر غريب على قربه منها . وبعد قليل خف الضباب من ناحية مدخل الخليج فهمس مساعدته في أذنه قائلاً اني أرى سفينة قرب مدخل الخليج ، فدقق الربان النظر فرآها وقال من غرائب حسن الحظ أن سفينتنا لم تصطدم بها أثناء دخولنا . وكان يظنها في بدء الأمر من السفن

التي تتاجر بنقل البضائع من ثغر إلى ثغر على ذلك الساحل، إلا أن شكاً بدأ يتردد في ذهنه وفي ذهن الضابط المساعد الذي قال اننا دخلنا الخليج من غير ضجة ولكن ربانها لابد أن يكون قد أحس بدخولنا ومع ذلك فانه لم يندرننا بوجوده كي فنخذ الحذر لمنع الاصطدام. وكأنه هو ورجاله كانوا صامتين من الخوف، قال الربان الحربي نعم يخيل لي أن الأمر كما تقول وزاد شكه في أمر السفينة التجارية فأرسل اليها ضابطاً ينظر في أمرها ويمنعها من الخروج فذهب الضابط ثم عاد وصأله رئيسه قائلاً هل هي من سفن هذا الساحل؟ قال لا يا سيدي إنها سفينة غريبة ضل صاحبها الطريق بسبب الضباب واختلال آلاتها فلجأت الى هذا الخليج خفية أن تهشم على الصخور في أثناء سيرها. وقد أصلح رجالها آلاتها وهي مهيأة مستعدة للسير، لكن ربانها لا يجرأ على الرحيل إذ أنه يجهل الاتجاه الذي ينبغي أن يتجه إليه في سير السفينة فالتفت رئيسه الى مساعده وقال لقد كنت مصيباً إذ قلت أن رجالها كانوا صامتين من الخوف كي لا نعرف وجودهم. لكن مساعده بدأ يشك في شكه فقال إن الضباب يا سيدي يحجب الأصوات ويطمسها حتى الأصوات التي في سفينتنا نكاد لا نسمعها. ولعل الضباب الذي منعنا من رؤية السفينة التجارية في أثناء دخولنا منع ربانها من رؤية سفينتنا. ثم ما ذا كان مراده من إخفاء وجوده؟ قال رئيسه كي يهرب فلا ننظر في أمره. قال المساعد ولماذا لم يفعل؟ لماذا لم يهرب إنه لو حرك سفينته ربما سمعنا صوتاً خافتاً في الضباب ولكن الضباب كان يحجب السفينة في طرفه عين فلا نعرف أين ذهبت. وطاد الضابط الذي نظر في أمرها لإتمام حديثه. فقال إن أوراقها مستوفاة لا عيب فيها وبضائعها ليست من البضائع المحرمة في الحرب وهي ذاهبة إلى ثغر إنجليزى ولم أجد فيها مدعاة لسوء الظن ورجلها ليس عليهم مظهر ريبة وربانها من أهل شمال أوروبا. والظاهر إنه كان قد احتسى خمرأ وبدأ يفتق من خمارها وقد أخبرته أنني لا آذن له بالرحيل. فقال إنه لا يجرأ على أن يحرك سفينته من مكانها في هذا الضباب سواء أذنت له بالرحيل أم لم آذن — ولكن رئيسه لم يستطع قهر شكه وقال أليس من الجائز أن تكون هذه السفينة هي السفينة التي تمون غواصات الأعداء بالوقود السائل في خزانات طافية كالخزان الذي رأيناه. قال مساعده إنك لا تستطيع إثبات ذلك يا سيدي، والظاهر من تقرير الضابط الذي نظر في

أمرها إنه لا
وحب الاصطدام
الشبهات ويأمر
يشم أو يذود
فيستطيع أن
التجارية فقام
كأنما كان يخشى
النفس اتخذت
يتأمل في مشيئة
عقابها الموت
حجرته وأمره
للقائد الحربي
بديه بسرعة إلى
«ها أنا ذا»
إليه كأنما يريد
أريد أن أقول
جهاز السفينة
خسيس للربان
لضعف ثوان. وقد
الزل في قصه
وخسيس الربان
الظن من شكه
حديثاً آخر عن
ضحاها. حدث

أمرها إنه لا توجد مدعاة للريبة. قال الرُّبَّانُ الحربي سأذهب إليها وأستطلع أمرها بنفسي. وحب الاصطلاح هو مدعاة الكره أو الحب، فما الذي كان يأمل أن يجد فيها؟ أنه كان يتلصص الشبهات ويأمل أن يجد فيها ما يسوغ شكه حتى يصير دليلاً. وإعله كان يأمل أن يرى أو يشم أو يذوق دلائل الفساد والخيانة أو أن يوحى إليه فيها إيحاء يحوّل شكه إلى يقين فيستطيع أن يعمل عملاً حاسماً وأن يوقع قصاصاً صارماً مادلاً. ذهب الرُّبَّانُ الحربي إلى السفينة التجارية فقابله صاحبها. وكان رجلاً ضخم الجسم كثّ اللحية وكان واضعاً يديه في ثيابه كأنما كان يخشى أن يقبض عليهما أحد، أو هكذا خيّل للقائد الحربي فإن الشك إذا ما وور النفس اتخذت له من كل أمر دليلاً وإن كان ليس بدليل. وكان صاحب السفينة التجارية يتأمل في مشيته فهل كان تمايله من الخوف إذ أن خيانة المحايدين بتمويله غواصات الأعداء عقابها الموت؟ أم كان تمايله من بقايا أثر الحر التي ظهرت وانحنتها لمن قاربه؟. وفتح باب حجرته وأمسك ظهره إلى جدار الحجرة قليلاً كأن به دواراً من الخوف أو هكذا خيّل للقائد الحربي ولكنه ما لبث أن تبعه إلى داخل الحجرة وأثار المصباح الكهربائي ثم أمد يديه بسرعة إلى ثيابه كأنما خشي أن يقبض عليهما عدوٌّ وألقى بنفسه على مقعد قائلاً «ها أنا ذا» ولاح عليه كأنما أدهشه صوته أو هكذا خيّل للرُّبَّانُ الحربي الذي كان ينظر إليه كأنما يريد بنظره أن يصل إلى أعماق نفسه فيعرف أمرارها. ثم قال صاحب السفينة أريد أن أقول لك يا سيدي أنني لا أعرف أين أنا فقد لزمنا الضباب أصبوعاً وكُسُيرَ جهاز السفينة وكان يتكلم بسرعة كأنما يريد أن يقنع الرُّبَّانُ الحربي بالرغم منه أو هكذا خيّل للرُّبَّانُ الحربي، ومع ذلك فقد كان في حديثه فترات سكوت قصيرة كل فترة هي لضعف نوا. وقد خيّل للرُّبَّانُ الحربي أن تلك الفترات من فترات السكوت كانت من خشية الزل في قص قصة ملفقة ولو أنه لم يلح على وجه صاحب السفينة شيء من هذا الشعور وخيّل للرُّبَّانُ الحربي أن القصة مرتبة ترتيباً فلما يباغته صدق الحديث: ولكن ربما كان هذا الظن من شكه الذي لم يستطع مغالبتة، بل كان في أثناء حديث صاحب السفينة يحدث نفسه حديثاً آخر عن جشع بعض المحايدين وتمويلهم غواصات الأعداء فكأنهم هم الذين أغرقوا ضحاياها. حدثت نفسه بهذا الحديث كي لا يقتنع وكي لا يخدمه حديث صاحب السفينة

وكي يشعل نار البغض في قلبه . قال صاحب السفينة إن هذا الضباب يعلأ النفس قلقاً فاني لا أكسب إلا الكفاف من رزق أسرتي وأشار الى صورهم المعلقة على الجدار . قال القائد الحربي : ولكن هذه الحرب متفنيك وتغني أسرتك . قال صاحب السفينة إذالم تهشم السفينة وأخسرها . ولكن لماذا تفضب يا سيدي إذا درت الحرب على التجار أرباحاً . إننا لم نشعل نار الحرب ولو قعدنا وامتنعنا عن العمل لاكسب ما انتفع العالم . قال الرئان الحربي لقد أوضحت لي كيف صرت الى هذا المسكان ووصات الى هذا الساحل ودفتر سجل مير السفينة يؤيد ما تقول . ولكن من المستطاع تليفق هذا السجل . فأطرق صاحب السفينة ثم رفع رأسه بعد قليل ونظر الى الرئان الحربي قائلاً ولكن هل تسيء بي الظن ؟ لأي أمر يا سيدي ؟ وبماذا تهمني ؟ ان بضائع سفينتي لغر انجليزي . قال ذلك بصوت خيل للرئان الحربي أنه متغير من الخوف كأن به بحجة من القلق ولكن الرئان الحربي كان يسائل نفسه لماذا لم ينذرنا بوجوده عندما دخلت سفينتنا الخليج . ولماذا كان جهاز سفينته مهيناً للسير ؟ أليس ذلك دليلاً على أنه هو الذي يمون غواصات الاعداء ؟ ثم خرج الرئان الحربي واستعرض الملاحين وسألهم أسئلة فلم يستطع من اجابتهم أن يثبت كذب صاحب السفينة . فقال لا شك إنه وعدم أجر كبيراً ومكافأة خاصة ثم هم لا يخشون منا شيئاً ما داموا لا يبوحدون بشيء . لم يظفر الرئان الحربي بأي دليل يثبت سوء ظنه ويسوغ شكه ، ولكنه رأى أنه يحدث نفسه كأن أمر غدر هذا التاجر المحايد وخيانتة لقانون الحياد أمر ثابت لا شك فيه . وعاد الى الحجرة فتلقاء صاحب السفينة وعلى وجهه دهشة فنظر اليه الرئان الحربي وقال : تخيل لي ان دهشته مصطنعة مبالغ فيها فهي ليست دهشة طبيعية بل هو يتكلف الدهشة كي يقيم الدليل على براءته . ف شعر بالتميز من غدر الناس وتفاقهم وقال في نفسه : لا شك ان كل الناس من آكلي اللحوم البشرية . أليس المال الذي يكسبه التاجر من تموين الغواصات ويشترى به قوته وهو من لحم الضحايا الذين تفرقهم تلك الغواصات ؟ فكأنه يأكل من لحم الضحايا . ثم نظر الى التاجر صاحب السفينة التجارية وقال له متحناً ومختبراً ألم تر شيئاً طافياً على وجه الماء ؟ قال التاجر : قلت لك يا سيدي ان الضباب كان يلاننا فلم نستطع أن نرى شيئاً . قال الرئان الحربي ولكننا استطعنا ان نرى خزائنا من وقود صائل طافياً على وجه

الماء وكان الضباب يخف في بعض الأحيان ، ثم أخبره بما استنتجته من تموين بعض التجار المحايدون لغواصات الأعداء. فوقف صاحب السفينة كأنه قد صعد وألقى صعوبة في التنفس ثم تكلف ابتسامة حائرة مرتبكة لا معنى لها . فأتخذها الربان الحربي دليلاً آخر على انه مجرم . وقال ان المحايدين الذين يرتكبون هذا الجرم خليقون بعقوبة أهد من عقوبة الشنق .

فقال صاحب السفينة وهو متمجج في قوله نعم . نعم . نعم . ثم فكر قليلاً وقال ربما . ربما .

قال الربان الحربي وهو محقق مغيظ ربما انهم خليقون بعقوبة أهد من الشنق . قال صاحب السفينة بهدوء نعم ولكن المغري لهم أولى بالعقاب يا سيدي . المغري الذي يأتي بصرة ملؤها الذهب الى رجل فقير لا يجذوق عياله إلا بشق النفس فيفكر في تعاسة ذويه وفي الذهب الذي أمامه وأنا لا أذكر هذا عن نفسي فانك قد لا تدرك يا سيدي اني على ضخامة جسمي ليست لي الأعصاب السليمة القوية التي تدفع بي الى المغامرة فأكتفي بالرزق القليل المكفول اذ لا أستطيع المخاطرة ؟ ولكن الرجل الفقير الذي يستطيع المخاطرة لا يتخيل ما يحل بركاب السفن التي تفرقها الغواصات لأنها مناظر لا يشهدها ، فهو لا يرى إلا الذهب وبقاء أمرته التي يسعى لكسب قوتها فيرضى أن يموت الغواصات بالوقود السائل خلصة ويوم نفسه انه لم يشترك في اغراق أناس . ولا أعني نفسي يا سيدي . فأنا رجل لا قدرة له على المغامرة ولو غامرت مثل هذه المغامرة لأصابني الجنون من القلق وخوف العاقبة أو لحاولت إغراق قلتي باحتساء الحمر ليلاً ونهاراً . فن أية ناحية نظرت الى هذه المغامرة أرى الوبال والخراب

قال الربان الحربي وقد اقترب وجهه من وجهه بل الموت لا الخراب وحده !

قال صاحب السفينة هذه مسألة لا تهمني يا سيدي

قال الربان الحربي ومع ذلك فلا بد أن ترحل من هنا الآن — قال صاحب السفينة :

في هذا الضباب ؟ قال نعم . لا بد أن ترحل في هذا الضباب الآن ، قال صاحب السفينة :

ولكني لا أعرف أين أنا ولا أدري كيف أقود السفينة في اتجاه ينجينا من الصخور

المغمورة . قال الربان الحربي صاخراً : آه انك لا تدري ؟ إذا سأدلك على الاتجاه الذي تسلكه بسفينتك — ثم ذكر له إتجاهاً باصطلاح السفن في البحار فتردد صاحب السفينة وقال أمن الحتم أن أرحل في هذا الضباب ؟ . قال الربان الحربي نعم من الحتم وإلا... وإلا... فقال صاحب السفينة لاداعي للتهديد يا سيدي سأرحل كما تريد... ثم رحل بسفينته .

والتفت الربان الحربي الى حبيبته التي كان يحمدنها حديث القصة واقرب منها قائلاً : أتعرفين إلى أي شيء كان يؤدي ذلك الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي ؟ انه كان يؤدي الى صخور مغمورة لا تنجو منها سفينة ترتطم بها وقد اصطدمت بها السفينة وغرقت وغرق كل من كان بها . وهذا دليل على أن ربانها لم يكن كاذباً في قوله انه يجمل أين هو فانه لو كان يعرف ، ما سار في الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي . نعم لقد كان صادقاً ولكن صدقه لا يدل على براءته — قال الربان الحربي ذلك بقلق وهو يحاول أن يقنع نفسه أن لاداعي للقلق

ثم ترك الربان الحربي دعوى نسبة حادث القصة الى رجل آخر وقال نعم أنا الذي وجهته الى تلك الصخور المغمورة وكنت أظن أن ذلك امتحاناً له واختباراً اختبر به مدق نفسه وبرأته . ولكني الآن لا أدري أكان ذلك اختباراً صحيحاً أم أني دفعته هو ومن معه الى الهلاك بالتهديد . وعندما أفكر في احتمال براءتهم يخيل لي أني أرى جنثهم في قاع البحر تأكل منها الأسمالك . نعم لا أدري أكنت قاضياً وقع جزاء جادلاً صارماً ، أم كنت أتيماً ارتكب جرماً كبيراً ؟ .

فدّت حبيبته يدها الى ذراعه وقالت . . . مسكين . . . مسكين بالتماسك أيها المسكين !

فسحب الربان الحربي ذراعه وقبّل يد حبيبته منصرفاً — وقال لا أدري أكنت قاضياً أم مجرماً ؟ . لا أدري ولن أدري . وسأعيش ما عشت في هذه الحيرة .

— منقولة عن الانجليزية بتمعرف قليل —

ع . ش

د كل

إلى هناك

الشرقة

هو كالبحر

الأنجرة ،

سطح الثرى

هديرها ،

والاقتباس

الهاطىء ،

الناس إلى

انبثق عن

قواعدها

الطويل تد

المطلق الصر

أثر في تمث

وعلاقتها

إن الديانات

المعقدة التي

فيما التي ت

الجسد وينف

إن فك

أن أصب

جزء

الوضع الاجتماعي

والعوامل المؤثرة فيه

« كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملاقن . إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » .

الشرق ، اليوم ، هو ذلك البحر الذي تصب فيه أنهار الثقافات من جميع أنحاء الدنيا . هو كالبحر في سعته وعمقه ، لكنه الآن ، ليس كالبحر في طبيعته . من البحر تتصاعد الأنجرة ، فتتعمد ضخاماً ، فتساقط قطرات تكرر جميعها راجعة إلى البحر ، ما جرى منها على سطح الثرى ، وما تغفل في باطنه . الشرق صابر يرمق هذه المياه المتدفقة ، وينصت بلذة إلى هديرها ، ويستوعب برضى وغبطة ما تأتي به من خير وشر . هو اليوم في دور الاستعطاء والافتباس . ولا بد من أن يأتي يوم يعيد فيه سيرته الأولى . فبئذ البدء ، ومن هذا الهاطيء ، سارت مع الموج أول فكرة عن الله ، وشمع نورها في أرجاء المسكونة ، وأرشدت الناس إلى العماء وإلى الملوكوت . وما فتئت الإنسانية منذ ذلك اليوم تتغذى بالزاد الذي انبثق عن هذا الشرق وتتأثر به في جميع ألوان نشاطها . ويقيني أن طور النبوءات التي ترسو قواعدها على الخيال الجامح والایمان المطلق الكفيف قد مضى ، وأن الإنسانية في سيرها الطويل تدنو من العقل المقنع بالخيال ، المضمخ بالایمان ، وتبتعد رويداً رويداً عن الخيال المطلق الصرف . وإن هذا البعد سيزداد وذلك الدنو صيتعاظم . وإنها سوف لا تسير إلا في أثر نبي تمثل الحضارات والفلسفات والديانات وصبر أغوار الإنسانية ، واهتم بتنظيم أحوالها وعلاقاتها الدنيوية التي تمهد لها السبيل الآخرة ، وأقام الدليل على تفهمه لازدواج الانسان . إن الديانات القديمة قد بالغت في الدعوة إلى الآخرة وأمعنت في اغفال المشكلات الرئيسية المعقدة التي تواجهها البشرية في مراحل وجودها . اسنا بحاجة الى من يشذب غرائز العيش فينا التي تكيفها الاختبارات وتنقيها الآلام ، بل إننا ننهض في أعماقنا نوراً يتعدى عتبة الجسد وينفذ إلى أقداس الانسان ، إلى الاصلاك الخفية التي تربطه بالالوهية الغاملة .

إن فكرة الإلآه ، المنبثقة عن الشرق ، قد فرضت أولاً على العالم فرضاً . ثم ما لبثت أن أصبحت هذه العقيدة أقدم ما في الوجود وأخذه على الاملاق . وقد ظلت عبقرية

الغرب ، طيلة الأجيال التي تصرّمت على البشرية ، عاجزة عن ولادة فكرة جامعة إنسانية تضاهي في سموها وقدامتها وشمولها الرسائل الروحية التي جاءت على ألسنة أنبياء الشرق . ولأول مرة ، بعد هذا العقم الطويل ، تمخض العقل الغربي عن أول « رسالة » . إنها لا تنتمس ما فات من الرسائل الأولى ، بل إنها تنسف وتنقض كل ما جاءت به تلك الرسائل . إن الغاية التي توغّسها الأنبياء والرسل ، ودأبوا على تحقيقها ، هي أن يرفعوا الإنسان من الأرض إلى السماء ، من الشر إلى الخير ، من الخطيئة إلى الطهارة ، من مغالب الشيطان إلى حضرة الرحمن . أما « رسالة » كارل ماركس ، في تصوّره المادي للتاريخ ، فإنها تهبط بالإنسان من السماء إلى الأرض ، وتنزعه من أحضان الألوهية لتلقي به في أتون الطبائع البشرية المطلقة من كل قيد ، ولتجعله رهن مشيئة الأساليب الاقتصادية السائدة .

وكما أن الفكرة الدينية قد تعهدتها مؤسسات ، تولت التبشير بها ، حيناً بالقلم واللسان ، وأحياناً باليد ، واعتبرت أمراً واقعاً مقدّساً في عرف الجماعة ، وهكذا ، فإن المادية التاريخية تولت التبشير بها أحزاب منظمة تنظيمياً آلياً ، واقتلعت العقيدة الدينية الأصيلة في أصقاع كثيرة وحطّت محلها ، وكما أن مبدأ الألوهية قد تجسّد في اليهودية والمسيحية والإسلام ، كذلك المادية التاريخية التي قال بها ماركس قد تركزت في الدول والأحزاب الشيوعية . فنشأ عن ذلك أن الإنسان في هذا العصر أصبح واقعاً على مفترق الطرق ، وهذه الطرق مشتبهة غير متشابهة . وقد ارتطمت المفهومات الدينية التي اقتبسها عن أنبيائه ورسله بمفهومات وتفسيرات مادية جديدة للكون والحياة والإنسان ، فقرضها بعض الدول على الشعب فرضاً ، وتحرّرت العقائد والنظريات .

وقبل كل شيء تصطدم المادية التاريخية بالمعتقد الديني وتنافي جوهر الدين وما يفرّغ عنه منافاة تامّة . فالعقيدة الدينية تقول : في البدء كانت الكلمة : وأن الشعور الديني شامل ، متأصل في أعماق الإنسان ، غريزي ، وما انفكّ منذ الأزل وهو يمزو الوجود وما فيه إلى قدرة تسمو على الشمول والإحاطة والإدراك الإنساني . ولم يتورّع البعض عن القول إن الإنسان حيوان متدين . أما الشيوعية الماركسية فتؤمّن بالعقيدة القائلة : في البدء كانت المادة . وبينما نرى السكتب المقدسة تقرر أن الله قد خلق الإنسان ، يجعل التصوّر المادي للتاريخ الإنسان خالقاً لله وفكرة الألوهية . ويتوقع الشيوعيون في السياق الطويل لنضوب النزعة الدينية ونموّ الفكرة الإلحادية . ولا تأملن أن يكون هذا النضوب ثمرة للنزاع الطبقي تلقاء المؤسسات الدينية والفكرة الدينية ، أو انتشار الثقافة وتبلورها في الدهن ، بل نتيجة للتحرر من العوز . لأن النزعة الدينية حسب التعليل الذي أوجده المادية التاريخية

للدِّين، ما استقرت في النفوس وتمكنت أصولها في القلوب، والتفت كالأفعى حول البشرية، إلا في زمن موغل في القدم، كان الإنسان فيه خاضعاً لقوى لا طاقة له على كفاحها ومصارعتها. وفي تلك الحالات التي تخور فيها عزيمة الإنسان من جراء الجوع والجهل، يأخذ يتعمل ويلهو بالدين ويمارس الصلاة ويتخيل آخرة تعوِّض عليه ما فاته من الحظ في الدنيا، بغية أن ينسى آلامه الحاضرة. فتمكنت الخرافة من استعباده والسيطرة عليه وتسييره وفق هواها، بدلاً من أن ينبذها ويتحرر منها. وينبغي على الدولة، في مثل هذه الحال، وهي أقوى وأكبر مؤسسة سياسية، أن تقود الحملة التحريرية من ربة الكواييس الوهمية. وقد جاء في المادة ١٢٤ من الدستور السوفياتي الصادر في ٥ ديسمبر ١٩٣٦ ما يأتي:

«ولكي نضمن للمواطنين حرية الضمير، أصبحت الكنيسة في الاتحاد «السوفياتي» والمدرسة منفصلة عن الدولة، والمواطنون حرة بممارسة العقائد الدينية وحرية الدعوة ضد الدين». وبتنا في هذه الأيام نسمع من يقول أن الشيوعية تشبه المسيحية من وجوه كثيرة وإنها لا تناقض مطلقاً الصورة التي أرادها يسوع للمجتمع البشري. ومن يتدبر هذا القول الذي أريد به باطل، بروية ودرس وتمحيص، يدرك أن الجمع بين المذهبين مستحيل. فإن الشيوعية تؤمن أن الإنسان لم يتطور من حال إلى حال إلا بتأثير المادة فقط. فهي التي تخلق وتربي وتعين وجدانه وخياله واتجاهاته الفكرية. أما المسيحية ككل الرسالات السماوية شقيقاتها، تصو أصولها على الإيمان بالله والآخرة والدينونة والاعتراف بالملكية والخير والحب. وما من قوة تستطيع أن تؤثر بالإنسان وتخلقه خلقاً جديداً إلا ملكوت السموات، «يشبه ملكوت السموات خيرة أخذتها امرأة وخبايتها في ثلاثة» أكيال دقيق حتى اختتم الجميع. «وان يموع لم يناد بشورة تقاب نظم الاجتماع والاقتصاد والسياسة. إنه حث الفرد أن يشور على نفسه لا على غيره، وان يكافح ما يمكن فيه من مفاصد وشرور، لا أن يخاضم جاره أو أي كان من الناس. ذلك يقيناً منه أن الإصلاح لا يأتي من الخارج بل ينبع من الداخل، من أحماق الشخصية، من ذلك الكهف الذاتي «وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه. اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً، أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. أيها الفريسي الأعشى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكي نكون خارجها أيضاً نقياً». إنه لم يحرض الفقراء على الاغنياء ولم ينعفس بالزراع الناشئ بين هاتين الطبقتين دائماً وأبداً، لا بملاة أو رهبة منه للطبقة الغنية، ولا استهتاراً أو مقتاً للطبقة الفقيرة، بل لأن هذا النزاع العنيف لا ينبثق عنه صلاح وخير بل فساد وشر.

إنه لم يتورع عن التنديد الشديد بالأغنياء فيقول: « ويل لكم أيها الأغنياء . ويل لكم أيها الشبايع لأنكم ستجوعون » ، ويلتفت إلى الفقراء قائلاً « طوباكم أيها الجبايع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » . إن التلويح بالآخرة لا بد من أن يحدث صدًى بعيداً في تلك النفوس القائمة المظلمة التي انكشفت على الضلال إذ انكشفت على الفلس ، وضمت جوانحها على الحقد والبغضاء إذ أبت أن تفتتح على المحبة والعطاء ، وغلّت يدها إلى العنف فلم تستمرى اللذة المنبثقة عن البذل والسخاء . ان الكلمات الوديمة التي تفوه بها يسوع ، الصادرة عن نفس مطمئنة مؤمنة لن تنسجم مع تلك الحشرة الشيوعية الصادرة من صدور منعممة بالاحقاد والضغائن والبغض . « ان الشيوعيين يصرون علانية أن نواياهم لا يمكن أن تتحقق إلا إذا مني النظام الاجتماعي التقليدي بانقلاب عنيف » . وبينما نرى يسوع يقول لأحد الذين معه : « رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون » . نسمع الجماعات الشيوعية تصرخ بلسان جورج صاند : « الكفاح أو الموت . الصراع الدامي أو الدم » . وتنتشر إحدى الجرائد الماركسية الثورية هذا النداء الذي يدعو إلى ثورة لا تبق ولا تذر ، ولا تقع فيه على أثر للرجة أو الانسانية . « هيا اذبحوا ! ليكن الانتقام فظيماً » هكذا يجب أن تكون لازمة الاناشيد الثورية ، وهكذا سيكون الصوت الذي سوف تطلقه اللجنة التنفيذية بعد انتصار طبقة العمال . « في الأوقات العصيبة يتحتم على كل ثوري مؤمن أن يضع دائماً نصب عينيه هذا المصير : اما أن يتوصل للقضاء على أكر عدد ممكن من أعدائه ، أو يتأهب للقضاء على نفسه » . وجاء في جريدة أخرى : « ان هذا الجمهور ... يفهم جيداً أن من مصلحته أن يذبح المالك ويحرق الأكواخ الموبوءة ، ويستولى على القصور الجميلة التي شادها بنفسه ، ويحطم الصناديق الحديدية ، ويقلب كل سلطة : فيشتق الملك والوزراء والسيوخ والنواب والمحامين وضباط البوليس وكل أذناهم . ان هذا الجمهور الحقير سوف لا يصبح أكثرية إلا في يوم الثورة بالذات » . ما هي القوى التي تكيف المجتمعات البشرية وما هي المؤثرات التي تحدد وتعين الوضع الاجتماعي ؟ على هذا السؤال يجيب كارل ماركس ، ومن خلال جوابه تتبدى نظريته القائمة على التفسير المادي للتاريخ : « ان الناس في انتاجهم الاجتماعي خلال وجودهم ، تنشعب بينهم علاقات محدودة ضرورية خارجة عن ارادتهم . وان العلاقات الناجمة عن الانتاج تتناوب مع درجة التطور الذي بلغته قوى الانتاج المادية . وبمجموع هذه العلاقات الناشئة عن الانتاج تكون بنية المجتمع الاقتصادية ، وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء حقوقي وسياسي ويتصل بأشكال معينة من الوجدانات الاجتماعية . إن أسلوب الانتاج في الحياة المادية يطبع

مظاهر الحياة
الذي يحدد
وجاء
لنفهم ان أف
وجدانهم ،
التي تثير الج
منها كل مجت
جنباً إلى جنب
ولسكي
فيها النصر
المال وكل أ
هذه
اهتدى إلى
ويقول لا
يبدو
وان المغالاة
قد عدوا نف
وتصدق في
تاريخية
متسير حتم
وحالات
ان ك
عامة والمؤثر
وكيان الشعب
المؤرخون
جميع نواحي
وما لا
العلاقات

مظاهر الحياة الاجتماعية والحقوقية والفكرية على وجه العموم . وليس وجدان الناس هو الذي يحدد كياناتهم ، بل على العكس ، فان كياناتهم الاجتماعية هو الذي يحدد وجدانهم .

وجاء في « البيان الشيوعي » على لسان ماركس وإنجلز : « أحتاج إلى ذكاء حاد ومهيق لنفهم ان أفكار الناس ونظراتهم الواقعية ، وكذلك مبادئهم التي تتعلق بالمهام ، وبكافة وجدانهم ، تنحور جميعها تبعاً لظروف وجودهم وعلاقاتهم الاجتماعية ويتكلمون عن الأفكار التي تثير المجتمع بكامله ، وهم في ذلك لا يقررون إلاً واقعاً وهو ان العناصر التي يتكوّن منها كل مجتمع جديد ، قد تكونت في المجتمع القديم ، وان انحلال الأفكار القديمة يسير جنباً إلى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة » .

ولكي تتمحق آمال ماركس وإنجلز وتصدق نظريتهما ينبغي أن تنشب ثورة عنيفة يتم فيها النصر للطبقة العاملة التي تأخذ على عاتقها نفس المجتمع البشري التقليدي وازالة رأس المال وكل أصاليب الإنتاج القديمة التي اعتمدتها البشرية في الزمن القديم .

هذه هي زبدة النظرية التي قال عنها إنجلز نفسه : « ان ناموس المادية التاريخية الذي اهتدى إليه كارل ماركس ، يضاهي ناموس الجاذبية الذي توصل نيوتن للكشف عنه » . ويقول لابرولا : « ان الشيوعية نستطيع أن تتنبأ عن المستقبل » .

يبدو لنا من خوى هذه الأقوال ان الشطط الذي تنطوي عليه يطغى على الصواب ، وان المغالاة تفوق حد الاعتدال وذلك راجع لسببين : أما الأول فهو ان المتشيعين المغالين قد عدوا نظرية المادية التاريخية في عداد النظريات العامة الثابتة التي لا تقبل النقض مطلقاً وتصدق في كل زمان ومكان ، والثاني لأنها تناولت بالتفسير والتعليل حالات اجتماعية - تاريخية - نفسية . وفي التاريخ والاجتماع لا يمكننا أن نتجمل نواميس اعتباراً ونقرر أن الجماعات ستسير حتماً بموجبها . فاعتبرنا النظرية القائمة على الظن ، أو التي ثبتت صحتها في أزمنة وأمكنة وحالات معينة ولم تختبر في أزمنة وأمكنة وحالات مختلفة ، قانوناً علمياً لا يتزعزع .

ان كتاب « رأس المال » الذي ألفه ماركس نحاً فيه نحواً جديداً وأثار اهتمام المفكرين عامة والمؤرخين خاصة ، إذ أنه أثار مفعداً إلى الدور الذي يلعبه العامل الاقتصادي في حياة الأمم وكيان الشعوب . كان الأساس الذي يرسو عليه علم التاريخ والدراسات الاجتماعية واهياً جداً . كان المؤرخون لا يعنون إلاً بالناحية السياسية والعسكرية . وبعد الملك وحده قوة وحيدة فعالة في جميع نواحي حياة الأمة . ولما نزل نورخ المصور الأدبية ونحدها تبعاً للعصور السياسية . ومما لا مشاحة فيه أن التطورات التي طرأت على أصاليب الإنتاج قد أحدثت تطوراً في العلاقات السكائنة بين العامل وصاحب العمل ، وقضت على الجفاء ، واللامبالاة التي اتسمت

بها العصور التي تقدمت الثورة الصناعية ، وأثرت في حياة العمال ومستوى معيشتهم ومدّة عملهم ومقتنياتهم من أثاث وأوانٍ وثياب وغذاء . ذلك لأنّ الإنتاج السريع الوفير سبّب أرباحاً هائلة تدفقت على صناديق أرباب العمل وجيوب العمال . وعن ارتفاع الأجور تفقّ الذهن عن رغبات جديدة أو كامنة . وبفضل الامكانيات المادّية التي أصبح ينعم بها العامل وشيوخ الحرية ، وانتفاء الإمتيازات ، وتعدّد نواحي الخير في الحضارة الحديثة ، استطاع أن يلج جميع الأبواب ويتمتع بصنوف الذات . وبفضل تقنين مدّة العمل أصبح ينعم بمجبوحة من الوقت ينفقها في اللهو والعبث ، أو الانصراف للاستراحة من الثقافة ، أو الاستمتاع بالجوّ العائلي . وفي ظلّ النظام الاقتصادي السائد تصدعت أركان العائلة وطفّت الروح الفردية في أعضائها فتبدّد شمل الأسرة . وقد توقع ماركس هذا المصير الكئيب الذي تنتهي إليه العائلة . فيقول : « إنّ الكلام الفارغ عن العائلة والتربية والحنو القائم بين الآباء والأبناء يصبح مدعاة للاشمئزاز ما دامت الصناعة العظيمة ماضية في القضاء قضاء مبرماً في صفوف العمال على الروابط العائلية . فيعامل الأولاد وكأنهم صلح تجارية بسيطة وأدوات للعمل . فالأسرة بدلاً من أن تكون ملاذاً لأعضائها يفرعون إليها كما أهدت بهم الهموم قد تفرق أبناؤها وتشتتوا . وهكذا فقدت العائلة العنصر الهام الذي يبرّر وجودها ويدعو لإجلالها ، وهي الوحدة التي ينمى بها الاجتماع وما يتخلل الاجتماع من تعاطف ومحبة وعناية . وتحوّل البيت الى مجرد مخدع يفد إليه أفراد من مختلف الأنحاء وفي أوقات مختلفة ، قد أنهكهم التعب ، وامتنص المجتمع ما في قلوبهم من حُبّ وعطف ، وقضى المعمل والشارع على ما في نفوسهم من غفّة وطهارة ، واستنزف الطيش ما في جيوبهم من مال . وبما أن المرأة في المجتمع الماركسي تعدّ عاملاً اقتصادياً أولاً وأماً ثانياً ، فقد انتزع صغارها من حضنها وأرسلوا إلى رياض الأطفال . ولئن قدّر لهم أن يحظوا بالعناية والغذاء فإنهم يظلون مفتقرين الى العطف والحنان الذين لا ينضجان إلا في صدر الأم . وبدأ العامل يحاكي من هو فوقه مرتبة وغنى وبجاريه في معاشه وأطوار حياته . ولكي يبلغ الدرجة التي يصبو إليها ، ويتذوّق ألوان الترف والرفاهية ، عمد إلى تحديد النسل وأذن لزوجته وبنيه بالعمل كي يخففوا العبء عن كاهله . ثمّ أنّ التطوّر الاقتصادي حدا بالحكومات أن تسنّ قوانين تتعلق بالعمل وشؤون العمال فنحتهم حق تأليف النقابات ، وضمنت لهم المساعدة في حالة المرض ، والتعويض في زمن الشيخوخة ، وفرضت شروطاً على أرباب العمل فيما يتعلق بالنساء والأولاد وحالة البناء وساعات العمل ... وأصبح للعمال بفضل تكتلهم وزن يذكّر في الشؤون السياسية عامة .

هذه هي
الإنتاج . أما
التصور : فـ
وبالجملة جميع
جميع الآراء
والعرق والخص
كما مرّ سحابة
وقد ساهمت الد
يعزوف تقدم ب
في لبابه مبادئ
والدين يتوخى
دينية تتضمن
وأن الإنسان
ونهار . نعم أنّ
والأرواح والأ
وهذا المصدد
أو العطش أو
الأمانة على الش
من علاقة ، وم
نبح وجمال ،
والصحة والمرض
أسبج حياتنا
والجاعات ، والحب
نصيب عظيم في
إن مبدأ الم
وتسقط عنه مس
حيلة في صوغ
والإيمان بأ

هذه هي مجمل النواحي التي تأثرت ولا تزال تتأثر بالعامل الاقتصادي وتطور أصاليب الإنتاج. أما ماركس فانه يعزو الى العامل الاقتصادي، كما ظهر من أقواله، قوة تفوق حد التصور: فهو الذي يكيف شؤون معيشتنا والسياسة والحقوق والدين والأخلاق، وبالجملة جميع نواحي النشاط الإنساني. إن هذا التفسير المادي للتاريخ ينسف نسفا تاما جميع الآراء والنظريات التي تقول، وثبتت حقيقتها، إن الإنسان يتأثر بالدين والأرض والعرق والخصائص الجسدية والنفسانية. وبمعزل عن المؤثر المادي، فانه يمر بهذا السكون كما يمر سحابة صيف. فالدين الذي ينكر أثره ماركس من أعظم المؤثرات في المجتمع البشري. وقد ساهمت الديانات مساهمة عظيمة في جميع التطورات والمراحل التي مرت بها البشرية. وكثيرون يعززون تقدم بعض الشعوب الى رقي الديانة ومبادئها التي يعتنقها أبناءها. ثم أن الدين في لبايه مبادئ أخلاقية تهذب سلوك الإنسان وتصلح نفسه وتطهرها من أدران كثيرة. والدين يتوخى السلام الدائم للإنسان في هذا العالم والحياة في جو من المحبة. وكل رسالة دينية تتضمن نواهي ومواعظ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحض على البر والرفقة والوفاء. وأن الإنسان تأثر الى مدى بعيد جداً بالطبيعة وما يتعاقب عليها من فصول ويكر من ليل ونهار. نعم أنه تأثر بالنهار الذي يبعثر الأفراد ويمدّد الشمل، وبالليل « ليل الأشباح والأرواح والأخيلة » كما يقول جبران ليل الظلام والخاوف التي تفرض الاجتماع فالائتلاف. وهذا الصدد يقول: ألان: « إن مؤسساتنا وليدة الليل قيل أن تكون وليدة الجوع أو العطش أو الحب ». ومن نظام الحراسة الذي يفرضه الليل يمكننا أن نفهم « لماذا تفضل الأمانة على الشجاعة ». ولن يقوى الإنسان أن ينجو من أثر المرأة وما ينشب بينه وبينها من علاقة، وما يتخلل هذه العلاقة من حب وبغض، ووصل وهجر، وما تتصف به من فسح وجمال، وما يؤثر عنها من فضيلة ورذيلة... ويتأثر كذلك بالرجال والأولاد، والصحة والمرض، والحرب والسلام، والكفر والإيمان. من هذه الأمور وغيرها يتكوّن نسج حياتنا. ولاختلاف التضاريس، وتنوع المناخ، وحدثت الغزوات والحروب والحجارات، والحدود المنبوعة التي تحدّ من فعاليات الشعوب ومن مدى اختلاطها واحتكاكها، نصيب عظيم في نشوء المدنيات ونموها وتقدمها.

إن مبدأ المادية التاريخية يناق تماماً مبدأ المسؤولية في الإنسان ويؤد حرية الاختيار، وتسقط عنه مسؤولية الخير والشر ولا يحق للمجتمع أن ينافسه الحساب لأن لا قدرة له ولا حيلة في صوغ طباعه وتهذيب مناقبه وعواطفه بل هي رهن مشيئة قوة جامدة آلية. والإيمان بالمادية التاريخية يولد عقيدة الجبرية الاقتصادية التي تحدد مصير الإنسان

تجديداً رياضياً . فما دامت أصاليب الانتاج هي التي تعين وجدان الأفراد والجماعات فينبغي أن تتماثل الجماعات البشرية في أخلاقها وعواطفها ودياناتها وفنونها وآدابها ، إذا تماثلت أصاليب الانتاج فيها وبلغت درجة واحدة من التطور الاقتصادي . وفي الواقع ان التمايز في هذا العصر الصناعي قد عظم وازداد وضوحاً وانتشاراً . ولا تتوفر المماثلة إلا في البيئات المتبدية المنكشة . ومرد ذلك الى أن الجماعات البشرية لا تخضع للمؤثرات الاقتصادية فقط ، بل أنها تتأثر بجميع التيارات ، من أدبية وعلمية وفنية ونفسية وبدنية ، التي تتفاعل طليقة ضمن نخوم القطر الواحد ، وتتأثر بالتيارات المنبثقة عن مختلف البلدان . وقد أصبح من الميسور في هذا العصر انتشار الحضارات . ويزداد التنوع ويعمق ويعظم بمقدار ما يتمتع الانسان بحرية العمل والقول والفكر والوجود . فالعامل الذين يعملون مجتمعين صاعات معدودات في المصانع ، يتفاعلون فقط ضمن الجو العملي وما يتفرع عنه من اهتمام بمصالحهم وأجورهم . لا ينسلخون عن المجتمع الذي يعيشون بين ظهرانيه ، ولا ينقطعون عن التأثير والتأثير به من شتى النواحي . ان المجتمع زاحز بالمؤسسات الثقافية من علمية وأدبية وفنية ، والمصحافة والمسارح والنوادي والكتيب وغيرها من ألوان النشاط الفكري والاجتماعي . وإذا كانت الشيوعية الماركسية مؤمنة بمناعة وصحة التفسير المادي للتاريخ ، وان الانسان لا فسكك له من سلطان أصاليب الانتاج ، ولا يستطيع فرد مهماً أن يكون دولاباً يدور بمنة بين دواليب تدور يسرة ، فعلام نراها تتوصل لاقرار هذا المبدأ بشتى الوسائل والسبل : انها تشجع كل حركة ترمي الى الاضراب والانتفاض والشغب ، وتوجه الصحافة والتأليف والتفكير والوجود توجيهاً صارماً عنيفاً لا رحمة فيه ولا هوادة ، وفق هذه الاهداف . وراها تعاكس وتمقت كل اصلاح ، اجتماعياً كان أم اقتصادياً ، ذلك لأن كل محاولة ترمي الى اصلاح الفاسد تؤخر الثورة التي تقلب المجتمع انقلاباً يمتد الى الامم . ويقيني أن الآلة التي ابتكرها الانسان والأصاليب الاقتصادية التي طرأت على الانتاج لم تنفرد وحدها بالتأثير في حياة العمال أنفسهم ، بل أن الفضل العظيم يعود الى زملاء انبثقوا من صميم الشعب يحملون بين جوانحهم قسطاً كبيراً من العطف والرحمة وقسطاً أكبر من الفهم والوعي لشؤون العمال ومشاكلهم . ومن الامتهان لعبقرية الانسان وفكره وخياله ان نهبط به الى مستوى الآلة الجامدة ونقارن بينه وبينها . وان في شخص ماركس نفسه ما ينقض قوله ويدحض زعمه . فعندما وضع تأليفه لم يكن سوى مثالي idéologue من طراز كبير . فثله ومثل غيره مثل مشكاة استضاء بها العمال للاهتمام الى الحقوق المهضومة . ولعل حالة العمال لم تكن ما هي عليه الآن لو لم يوجد ماركس .

ذكر
أسأل :
سائرة في
الانتاج
الاستغلال
تمت في
الأخرى
الانسجام
تملك من
٩٩٠٠٠٠
فإننا نبتعد
المساواة
تتناقص فيها
تتضاءل
مرضية ، فأ
وليس
منشئها إلى
اكتشف
من المعارك
إلا تعبيراً
الناموس
وأصاليب
ويست
٢٥ يناير
والحقوقية
لاحتل
هل الخ
الأمم ؟ ان
جزء

ذكرت قبلاً أن لا بريولا يقول « إن الفئوية تستطيع أن تتنبأ عن المستقبل » والآن أتساءل : هل تحققت النبوءات التي توقع ماركس حدوثها ؟ لقد تنبأ أن الملكية الصغيرة سائرة في طريق الزوال وستحل محلها الملكية الجماعية . ويرد السبب إلى انتشار وسائل الإنتاج والقوى البشرية التي تتبدد فيما لا طائل تحته والفقر الذي أصاب التربة من جراء الاستغلال المتتالي ، إن هذه النبوءة — ازالة الملكية الفردية — لم تتحقق طبيعياً ، بل تمت في الأقطار التي استعمل فيها العنف والمصادرة بغية تنفيذ هذه النظرية . أما في البلدان الأخرى فقد عمدت الحكومات إلى تحديد الملكية الفردية تأميناً للمصالح العامة ولايجاد الانسجام بين مختلف الطبقات لا القضاء عليها . وفي عام ١٨٥٠ كان عدد الأسر في إنجلترا التي تملك من ١٥٠ — ١٠٠٠ جنيهه ، ٣٠٠٠٠٠ عائلة . وفي عام ١٨٨١ بلغ هذا العدد ٩٩٠٠٠٠ أسرة . فدام عدد الذين يملكون يزداد ، وعدد الذين لا يملكون يتضاءل ، فإننا نبتعد شيئاً فشيئاً عن المحجة التي تنبأ عنها ماركس . وفي ذلك يقول كوتسكي : إذا كانت المساواة الكبرى الناتجة عن أسلوب الإنتاج الرأسمالي لاصقة بأوائله فقط ، وينبغي أن تتناقض فيما بعد ، وإذا كان عدد أولئك الذين يملكون يزداد ، وإذا كانت المتناقضات الاجتماعية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، وإذا كانت الطبقات العاملة تأمل أن تتحرر أو على الأقل أن تجرزمكانة مرضية ، فأية فائدة تنجم عن الاشتراكية ؟ أقر بصراحة إنني أعتبر الاشتراكية خطأ فادحاً .

وليست الحروب التي ملأ ذكرها بطون التواريخ . إلا نوعاً بين الطبقات التي تعود في منشئها إلى التفاوت في المراحل الاقتصادية . ويقول المجلس : « إن ماركس أول من اكتشف الناموس العظيم الذي يسم الحركة التاريخية . وطبقاً لهذا الناموس ، فإن كل ماحدث من المعارك التاريخية في الحقل السيامي والديني والفلسفي وفي أي حقل آخر مثالي ، ليست إلا تعبيراً صادقاً تقريباً عن المعارك التي تنشب بين الطبقات الاجتماعية . وينجم عن هذا الناموس أن وجود هذه الطبقات ونزاعها يرتبطان بالمرحلة التي بلغتها حالتهما الاقتصادية وأصاليب الإنتاج ، وأخيراً بأسلوب المبادلة الذي يتفرع عن الإنتاج .

ويستخلص من رسالتين كتبتهما المجلس إحداهما في ١٢٧ أكتوبر ١٨٩٠ والأخرى في ٢٥ يناير ١٨٩٤ أن الظواهر الاقتصادية هي الباعث الأول على حدوث المظاهر السياسية والحقوقية وحتى التصورات الدينية التي لا تعد إلا ظلالاً اقتصادية . ولو لم يوجد نابوليون لاحتل آخر مكانه . فإن كل شيء رهن الواقع والضرورة .

هل الحروب التي جرت في العصور القديمة أم الحديثة كانت حروباً طبقية أم حروباً بين الأمم ؟ إن جميع الحروب التي نشبت في الشرق والغرب لم تكن حرباً بين الطبقات ، بل إنها

في الصميم نزاع بين القوميات التي تقطن أوطاناً معينة وتتكلم لغة واحدة وتنسب إلى أقوام تخضع في كينونتها لدورة حياة واحدة. وإن العامل لما يحقق حلم ماركس الجميل: «العمال لا وطن لهم» لجميع الأحداث، وأقواها الحرب الأخيرة برهنت أن العامل مواطن قبل وبعد كل شيء وإياه ينظر إلى الأمور ويزنها من خلال مصلحة أمته. وما من ثورة أو حرب أو عصيان إلا ساهمت فيها جميع الطبقات وكانت نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وغير ذلك من الأسباب الخفية. من ذا الذي قام بأعباء الثورة الفرنسية؟ يقول سان سيمون: «إن الثورة الفرنسية كانت من صنع العلماء والفنانين الذين آذتهم النظم الاقتصادية في الصميم، فقدفوا بالمعدمين الجبهة ضد المالكين المحافظين». وليست أساليب الانتاج التي حدث بالشعب إلى الثورة، بل كتابات ثولير التي ما انفكت تحض على التحرر الذهني حتى تقال الحرية، وكتابات روسو التي كانت تدعو إلى الفوضى الاجتماعية إلى أن تحصل المساواة والعدل. ولم يقم العبيد وحدهم في الثورة التي نعتت في روما، بل كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأغنياء الذين كانت تحدد بهم الرغبة إلى تسلم زمام الشؤون السياسية التي لا تتطلع إليها الطبقة الفقيرة المعذمة. فتضافرت مطاعم الطبقة الفقيرة التي تتوخى العدل الاجتماعي ومطامع الطبقة الغنية التي تنشأ المنصب والجاه. وإن الحروب الصليبية لم يكن سببها الباعث الاقتصادي ولم يكن رائدها الاقتصاد ولم يدع فيها ظل للطبقات والفوارق العنصرية واللغوية والاقليمية، بل إنها صهرت قوميات شتى كانت متباعدة متباغضة. وتعود في أبعد أسبابها إلى نعرات دينية تمثلت في الفريقيين المتحارين. وإن الذي دفع إليها ونمى الحركة وجعلها تشمل معظم شعوب أوروبا البابا ذاته. ولا يتطرق الشك إلى مدى السلطة التي كان يتمتع بها يومئذ. فقد جمع في قبضته السلطتين الزمنية والروحية. ولم يكن يسمى لتيسير سبل التجارة، بل كان يسعى لانتزاع القبر المقدس من قبضة الدولة المسامة المسيطرة. وقد ترتب على هذه الحرب الدينية نتائج اقتصادية خطيرة: فتوسعت العلاقات بين الشرق والغرب ولاحت للفريقيين امكانيات تجارية لم تكن في الحسبان فإن القبر المقدس أصبح يجذب سنوياً ألوفاً من نصارى الغرب الذين يؤمون الديار المقدسة. وقد نشأ عن تدفق الحجاج الى سوريا شركات للملاحة في البندقية ومرسيليا. ولست أعزو الغرض المعقول إذا قلت أن اكتشاف أميركا فكرة نبئت من صميم العلاقات التي تلت تلك الحروب. إذ من المعلوم أن مدن الشرق: القسطنطينية وحلب ودمشق وبغداد، كانت أسواقاً لحاصلات الشرق الرئيسة. وإن إبان غزوتهم سوريا قد تعرفوا الى هذه المراكز. وتذوقوا الأناويه وشاهدوا العاج والأقشة الحريرية والسجاد. وعلام كان يبحث كولمبوس؟ ألم

تسكن الهند ، منبع الغرائب ، هدفه ؟ وإن البرم الذي أصاب التجار من طول الطريق الشرقية وأثرها في ارتفاع الأسعار حملت أولى الشأن على التفكير جدياً في الاتصال مباشرة بالهند . وعلى أثر الحروب الصليبية تغيرت معظم خطوط الملاحة وطرق التجارة البرية . ولا يتسع المجال لذكر الفوائد الزراعية والصناعية والعلمية التي حصل اقتباسها من قبل الطرفين لدن احتكاكهما .

وتستولي علينا الحيرة إذا ما رمنا تعليلاً صحيحاً لاختراع المطبعة . هل هي التطورات الاقتصادية أم الثقافية التي وجهت ذهن جوتنبرج ودفعته للبحث والتفكير بطريقة تريح الناس من عناء النسخ ؟ لا نجد لذلك تعليلاً معقولاً إلا في التقدم الثقافي وتفتح الأذهان وما ينشأ عن ذلك من رغبة ملحة للمطالعة والبحث والتنقيب واقتناء الكتب . وعلى أثر اختراع المطبعة ، وطبع الكتاب المقدس ونشره بين الناس بلغة سهلة مألوفة ، بعد أن كان وقفاً على الكهنة ولا يتجاوز نطاق الصوامع والأديرة ، حصلت حركة الإصلاح الديني التي نادى بها لوثيوس . زد إلى ذلك الكراهية التي كانت تضمرها الشعوب الشمالية للشعب الإيطالي الذي يتحكم في شؤون الكنيسة . وقد أزعج لوثيوس هذا الاستياء بعد عودته من روما إذ قال : « إن الجرائم في روما لا توصف . فمن الألمان شريرون . أمّا الطليان فانهم كفرة ويهزؤون بالدين الحقيقي . إنهم يسخرون منا نحن المسيحيين ، لأننا نؤمن بكل ما جاء في الكتاب . . . ويخشون القديس أنطونيوس أكثر مما يرهبون المسيح . . . » وكانت النهضة الأدبية في القرن السادس عشر نتيجة لازمة لبعث الثقافتين الأغريقية واللاتينية ونشر المؤلفات القديمة . إن المطبعة أحدثت حركة للنهضة في القرن السادس عشر ، أما في القرن التاسع عشر فانها نشرت المجلة والجريدة . ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نحدد الأثر العظيم والدور الكبير الذي لعبته الصحافة في العصر الحديث . إنها أكبر أداة للتوجيه والاذاعة في هذا الجيل . وإن ماركس نفسه مدين للصحافة التي عملت على تبسيط ونشر نظرياته ومبادئه في صفوف الشعب . ولا يعد تحقيق الماركسية الشيوعية في روسيا انتصاراً لمبدأ المادية التاريخية بل تكذيباً قاطعاً وتأييداً صارماً لضعف النظرية وفشل النبوءة . ذلك لأن الثورة الشيوعية نشبت في البلاد التي لم تترعرع فيها الرأسمالية وتظهر مفاصلها ومساوئها ، وإن أساليب إنتاجها كانت متأخرة إذا ما قورنت بالدول الغربية ، لكن استتباب الأمر للشيوعية عام ١٩١٧ يعود إلى ضعف الجهاز الحكومي القيصري الذي انهار عند أول صدمة ، وبأنهياره آلت البلاد إلى يد حازمة حديدية هي الحزب الشيوعي . وقد تكون روسيا مدينة في ثورتها الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية لا إلى ماركس وتلاميذه فحسب ، بل إلى الشباب الذين حاصروا مراحل الثورة الفرنسية ، وشهدوا يقظة الروح القومية في البلاد التي غزاها نابليون ، ورأوا

عن كتب الفرق الهائل بين مستوى حالة الفلاح الفرنسي والفلاح الروسي . ويقول « بليكانوف » في كتابه القيم « المدخل الى تاريخ روسيا الاجتماعي » الذي ألفه وهو متشبع بمبدأ التصور المادي للتاريخ ، ان الانتصار الذي أحرزته القبائل المتبدية على روسيا في اقطاع كييف ، اضطر الجماعات الروسية أن تنسحب صوب الشمال والشمال الغربي من روسيا ، مما أدى إلى تأخر ظهور المدنية الروسية وسبب انحطاط الطبقات القروية . ويذكر أيضاً ان للوسط الجغرافي الروسي اثرأ بارزاً في التاريخ السيامي من جميع الوجوه .

ولا يمكننا ان نسلم بصحة قول أنجلوس : « إن كل شيء رهن الواقع والضرورة » . فالظروف تكون الجو الملائم لظهور الشخصيات ، لكنها لا تخلق الأشخاص وما ينطوون عليه من خلق وفكر وخيال . ولو كان الامر للظروف التي يسري تأثيرها على الجماعات بمعدل واحد لجلستهم نسقاً ، وعلى درجة واحدة من الوعي والفهم ، فلو لم يظهر محمد في الحجاز يومئذ لما ظهر غيره . والبرهان على ذلك أن تلك البلاد عجزت عن انجاب شخصية كمحمد قبل أن يولد وقبل أن يبلغ سنّاً معلومة رغم أن ظروف المعيشة وملابس الحياة وأحوال الجزيرة لم تصب بتغيير أو تبديل . وما من عظيم كان وليد ضرورة ساعة ظهوره ، أو استجابة لنداء الجماعات المتضجرة . ولو كان وليد الضرورة القاهرة لما حورب مصلح ولا نبي ولا اضطر هو أن يحارب الجماعات التي ظهر في وسطها أو يكافحها تارة باليد وطوراً باللسان . فيسوع صلب ، ومحمد هاجر وحارب بغية اقرار فكرة التوحيد في القلوب . وإن يسوع يعبر عن الحقيقة التي اكتشفت رسالته إذ يقول : « ما جئت لاتي صلاماً بل سيفاً . فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها » . ولو كان المجتمع العربي يشعر آنئذ بتعطش حقيقي إلى رسالة سماوية لما عامل محمداً معاملة تجلت فيها الغلظة والقسوة والكفر . وكيف نستطيع أن نعلل تغفل الرسائل السماوية رغم منافاتها للمبادئ السائدة والعقائد المستقرة ورغم العراقيل التي تعترضها ، والشر الذي يلاهم المبشرون بها .

جميل أن نجتمع في العقيدة بين الولاء للأرض والتطلع الى السماء ، ونصل في الحياة بين القلب والبطن ، ونوفق بين رغبات الروح ومتطلبات الجسد . وإيس بجميل أن تحول الأرض بيننا وبين السماء وتطغي المادة على الروح . انني أو من بالانسان وما فيه من قوى فاعلة في سبيل الخير والجمال والحق ، وأؤمن ان الحياة سوف لا تنفك تغربله في غربال اللذة والألم كي تدنيه شيئاً فشيئاً من المحبة النضوى التي تتجلى في المحبة الشاملة . وركب الانسانية ما انفك سائرأ صوب هذا الهدف رغم وعورة الطريق وطولها وكثرة الأهواك وخور المزائم .

المرأة في البرلمان

لم تذهب صيحات الاتحاد النسوي عبثاً . ولا انطلقت صرخات السيدات أدراج الرياح بل قرعت آذان كثيرين من ذوي الشوارب، واستجابت لها نبضات قلوب الطبقات الراقية . وجاوبتها نغمات عواطفهم ونبرات رشادهم . وكان من هذه النبضات ان صحت عزيمة الاستاذين الكبارين سمادة علوية باشا وسمادة علي زكي العرابي باشا ان يتقدما إلى البرلمان كل منهما على حدة بمشروع قانون يحول المرأة المصرية حتى الانتخاب . وقد كان لي الحظ أن اطلع على قسط من مشروع علوية باشا فرأيتة مُدعماً بالمنطق القاهر والحجج الدامغة فضلاً عن السندات القرآنية الناصعة الحق .

ولا ندري الآن ماذا يلاقي هذا المشروع من مناقشات أعضاء البرلمان ، وبكم يهاجم من الحجج الواهية والبراهين المتصدعة . ولكننا نعلم منذ الآن إنه سيلقي من خشونة الجنس واعتصاب النفوس المتعصبة وقذائف التقاليد المتحجرة ما يستميل عنه إلى تقيضه من أكثرية المجلس . وقد تكون أكثرية ساحقة . ومهما كانت قليلة أو كثيرة فالأرجح ان المشروع يحبط في المرة الأولى ويصفق لحبوطه الأنانيون المستبدون المستبدون الاستعباد . على أن حبوطه لا يكون هلاكاً إلى الأبد . بل لا بد أن يبقى فيه رمق ، أو أنه يولد ثانية عن يد ذئب الفاضلين الذين في مقدمة من يدفعون بالجمعية المصري إلى الامام في صلب رقيه ويشترك معها آخرون ممن يتفقون معها في هذه النزعة الاجتماعية المباركة .

على أننا نعرف منذ الآن ماذا تكون حجج المعارضين والمقاومين والمناكدين الذين من خليقتهم صعبة الاستبداد ، والختمين بعقيدة أن المرأة مهما ارتقت فيحكم خليةها يجب أن تكون أمة أو شبه أمة ، على الرغم من منح الكتب المقدسة لها حقوقاً اجتماعية واقتصادية كحقوق الرجل .

أول حجة عند خصوم المشروع أن المرأة خلية تابعة ثانوية للرجل ، ولها وظيفة

في الأسرة، تختلف عن وظيفة الرجل كل الاختلاف بل هي دونها قيمة وشأواً . وبالتالي يمتد هذا الاختلاف إلى جميع الأحوال الاجتماعية .
يقولون إن وظيفة الرجل خارج المنزل مختصة بالسمي إلى الرزق للقيام بمعيشة الأسرة .
وإن وظيفة المرأة حضانة الأولاد وتربيتهم والقيام بجميع الواجبات المنزلية .

حسن . ولكن هل وظيفة المرأة هذه دون وظيفة الرجل قيمة ؟ وهل تقتضي مجهوداً أقل مما تقتضيه وظيفة الرجل ؟ لا لعمرى . إن وظيفة أم جدأ وأعلى قيمة وعملها أشق جدأ من عمله . فلكي تقدم المرأة للمجتمع رجلاً وطنياً نشيطاً ونافعاً ومخلصاً لوطنه يجب أن تحمله جنيناً في أحشائها تسعة أشهر أولاً . ثم ترضعه إلى صدرها وفي حجرها شهوراً أخرى ، ثم ترعاه بضع سنين إلى أن تقدمه إلى المدرسة فالكلية . ولا تنتهي مهمتها بشأنه حتى بعد أن يصير يافعاً ، بل بعد هذه السن تبقى مشغولة به عاطفة عليه مهمة بحياته إلى أن يستقل . أضف إلى مهمة تربيته سائر الواجبات المنزلية المعروفة . هذه وظيفة المرأة إذا كان عندها ولد واحد ، فما بالك إذا كان عندها بضعة أولاد ؟ لا أظن أباً من الآباء من يجمل أو يتجاهل أن عمله الذي يستعظمه تجاه عمل المرأة إنما هو عمل يومي يجري على وتيرة واحدة منذ يضع نظامه إلى أن يتقاعد عنه . فتجري الرجل في سياق العمل أصبح النظام يعمل من تلقاء نفسه من غير أن يعتن هوفيه نفسه كثير الاعنات . لذلك يجد الرجل عنده متسعاً من الوقت للتسكع في طريق الحياة والاختلاف إلى المقاهي والملاهي والمعشر الفسك وأحياناً إلى المعشر الفاسد .

فاذا كانت تلك وظيفة المرأة التي هي مهمة إعداد رجال المستقبل وبنیان المجتمع المتين أفلا يجب أن يكون لها ضلع في إدارة هذا المجتمع ولو من قبيل الرأي أو اختيار ذوي الرأي والإدارة ؟

وأقوى حجة يحتج بها خصوم المشروع هي أن السواد الأعظم من النساء عندنا لا يزلن أمميات جاهلات ، فلا يصلحن للتشثيل في البرلمان ولا للانتخاب . يمكن إعطاؤهن هذا الحق متى تعلمن ولو بعض العلم أو تعلمن القراءة والكتابة على الأقل ، إذ تصبح معلوماتهن بهيؤن الحياة أوسع نطاقاً منها الآن ولا سيما إذا صرن يطالمن الجرائد والمطبوعات الأولية كأخواتهن الأوربيات والأميركيات .

حسن . هذا صواب . فإذن يجب أن نعلمي برلماننا بتاتاً ونعود إلى الحكم

المطلق لأن ال
شيئاً من مشا
لحرمان الفرد
هذا الحق على
المنتخبين لا ي
بعض الثقافة
رى تجاهه ف
والأمية مو
وأما أن
حتى المثقفة ،
تقيع السيدة
بيها يوم الا
أن يذهب خاد
وإذا كان
السيدة المتعامة
والأ فهذا الاج
أفزع مما
امضائهم التي ما
نفسه للنياحة .

أما حرمان
مقيدة بواجباتهم
وتحضر الجلسات
نيابة المرأة فو
الحق يمنعه ؟
والعادة أن

متسع من الوقت
الناس من أمهات

المطلق لأن السواد الأعظم من الرجال كالسواد الأعظم من النساء أميون جهلة لا يفهمون شيئاً من مشاكل الحياة الاجتماعية ، ومن السياسة الوطنية . وإذا كانت الأمية صيباً حتمياً لحرمات الفرد من حق الانتخاب ، فالانصاف يقضي أن يحرم جميع الأميين رجالاً ونساءً من هذا الحق على السواء ، وأن يقتصر على المتعلمين فقط من الفريقين . وحينئذ يرى أن عدد المنتخبين لا يفوق على عدد المنتخبات (بكسر الخاءين وفتحهما) لأنه ما من أبٍ مثقف ولو بعض الثقافة في هذا الأوان يحرم بناته حق التعلم الى حدٍّ ما . ولا يرى فتى مثقلاً إلا يرى تجاهه فتاة مثقولة . ولا مزية لرجال على النساء في المعرفة . كلا الفريقين في الثقافة والأمية سواء .

وأما أن نمنح حق الانتخاب لكل ذكر بالغ ونمنح هذا الحق عن كل أنثى على الإطلاق حتى المثقفة ، فهو من أغرب سخريات الزمان وأضحك المضحكات . أليس مستهجناً أن تبيع السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي رئيسة الاتحاد النسوي في العالم العربي في بيدها يوم الانتخاب وان يذهب بواب دارها الى دار الانتخاب لكي يعطي صوته ؟ أو أن يذهب خادم السيدة أمينة السعيد لكي يعطي صوته وهي تحرم هذا الحق . وإذا كان لا بد من عدم الانصاف هذا بين الفريقين فيجب على الأقل أن تعطى السيدة المثقولة حق الانتخاب أسوة بالأمي الجاهل وتحرم منه المرأة الأمية ريثما تتعلم . والافهذا الاجحاف سبة في دستور البلاد .

أفظم مما تقدم أن يكون بين نواب الأمة أميون لا يحسنون كتابة كلمة غير كتابة امضائهم التي مارسوها لهذا الغرض على الرغم من أن الدستور يحرم على الأمي أن يرشح نفسه للنياحة .

أما حرمان المرأة المثقفة من حق النياحة في البرلمان فيبرره خصوم المشروع بأن المرأة مقيدة بواجباتها المنزلية ، فلا يجوز أن تترك هذه الواجبات لكي تخوض غمار السياسة وتحضر الجلسات وتناقش ، وأخيراً توافق أو لا توافق . وإذا كانت الواجبات المنزلية تمنع نياحة المرأة فواجبات الرجل المعاشية تمنعها أيضاً . على كلا الفريقين واجبات فما يمنعها هذا الحق بمنعها ؟

والعادة أن يكون النواب من الأشخاص الموسرين القليلي الواجبات الشخصية ولهم متسع من الوقت لحضور الجلسات البرلمانية . والمجاس لا ينعقد إلا مساءً بعد انصراف الناس من أعمالهم . والسيدة التي يساعدها زوجها في ادارة المنزل لها أيضاً متسع من الوقت

في ذلك المساء كما أن لها وقتاً لازيارات والملاهي . وبالطبع لا ترشح نفسها الا المرأة الموسرة التي عندها خدم وبرهات كثيرة من الوقت لحضور الجلسات فضلاً عن المطالعة وتدوين المذكرات ونحو ذلك .

وحاصل القول أننا لا نرى أن الشغال المرأة في واجباتها النيابية في البرلمان يحول دون قيامها بواجباتها المنزلية ، كما أن الشغال الرجل في البرلمان لا يعرقل أعماله . فهذا الاعتراض واهٍ سخيف كغيره من الاعتراضات المتقدمة .

وقد انتخبت السيدات في پارلمانات أوروبا وأميركا وكانت لهن آراء صائبة ونفوذاً فما قصرن في واجباتهن المنزلية بسبب إشغالهن في مجالسهن النيابية .

ولجان من الرجال عقيدة فاسدة يستنكرون بها الشغال المرأة في السهامسة ويستهمجنون وجودها في المجالس النيابية ونحوها ، وهي أن المرأة أضعف عقلاً من الرجل إلى غير هذا من مزايم انحطاط عقلية النساء . وهي عقيدة سخيفة لا يحجل مغرورو الرجال وأغبياءهم أن يجاهروا بها وإلى جانبهم زوجات رافيات لا تقاوتهم وهم يحرسون على كرامتهم .

يجعلون هذه الحجة في مقدمة الحجج عند نقاشهم في هذا الموضوع على الرغم من أن وقائع الحال تخرس أفواههم إذا كانوا يعقلون . فقد نزلت المرأة في جميع البلاد المتقدمة إلى مضمار العمل ونافست الرجل فيه كما نافسته في ميدان تحصيل العلم ، حتى عندنا نافست الطالبات في جميع الكليات الطلبة ، وفي كثير من الامتحانات تفوقن عليهم . فما ظهر في هذا الجنس اللطيف قصور عقلي بتاتاً . والتحقيقات الفسيولوجية والدماعية خاصة برهنت على أن المرأة والرجل متساويان في القوى العقلية . وليس لفريق مزية أو فخر على الفريق الآخر . ونرى في ميدان الأدب الآن أقلام كاتبات في كثير من المجالات تبرز أحياناً أقلام الكتّاب المنهوتين بالتقديرين .

ولعل بعض الأنانيين من الرجال يقولون إننا إذا منحنا هذا الحق للسيدات فلا نعود نستطيع أن « نكيفهن » . وهذا قول سخيف لا يصدق إلا على بعض النساء المتدللات المغرورات ، وهؤلاء لا يمكن أن يرتقين إلى منصة النيابة البرلمانية . ولا تستطيعون أيها الأنانيون أن « تكيفوا » هؤلاء « المتدللات » سواء أكن في مجلس النواب أو في مجالس الأصحاب . فهن نائبات لكم على كل حال رضيتم أم لم ترضوا .

نقول الحاراد

يوجد ع
أسبابها ويش
E. Crouchley
أعوام كتاباً
ثلاث مئة صفة
وقد رأيت
حسباً ترتقيه
ما كتب عن

التاريخ
هو ابن الأمس
فقد يغتفر الق
وهي المسائل
بحسبنا هذه المس
وأول ما

مليوناً (المتر
في الزيادة بسر
في الوقت الحار
البلاد ، وما ي
غير أننا
مليونين ، وإن

أمس واليوم

حالة مصر الزراعية

يجود علينا الغرب أحياناً رجال يخلصون للشرق ويتدبرون مشكلاته ويتقصّون أسبابها ويشيرون بما يرونه من علاج . ومن أولئك المستشرقين الإنجليزي اسمه الأستاذ كراوتسلي A. E. Crouchley كان يعمل أستاذاً في كلية التجارة بجامعة فؤاد الأول ووضع من أسعة أعوام كتاباً نفيساً باللغة الانجليزية عن « التقدم الاقتصادي لمصر الحديثة » ^(١) في نحو ثلاث مئة صفحة .

وقد رأينا أن ننقل بضعة فصول من هذا الكتاب ونعلق على ما أورده المؤلف حسبما نرتئيه ، ونضيف إليه ما عرض لنا في بحوث حديثة العهد ، لأن هذا المبحث من خير ما كتب عن اقتصاد مصر الحديثة .

التاريخ موصول الحلقات ، مسلسل الوقائع والأحداث ، لا يقف ولا يبطئ . اليوم هو ابن الأمس وهو أبو الغد . ورغم أن مهمة المؤرخ — إذا تحرّينا الدقة — تتعلق بالماضي فقد يغتفر القارئ لنا إذا نحن استشفقنا من أحداث الماضي الخطوط الرئيسة للمستقبل ، وهي المسائل التي ستعرض لنا لا محالة في القريب الداني أو البعيد النائي . ولعله يعذرنا إذا بحثنا هذه المسائل على ضوء تقدم مصر الاقتصادي الحديث .

وأول ما يواجهنا مشكلة السكان . فقد نما عدد السكان من مليونين إلى نحو ستة عشر مليوناً (المترجم — يبلغ تعداد مصر الآن نحو ١٩ مليوناً) في قرن وثلاث قرن ، وهم آخذون في الزيادة بسرعة فائقة . وكثيراً ما يعربون عن الخوف من اكتظاظ البلاد بالسكان ، سواء في الوقت الحالي أو في الغد القريب مما قد يفضي إلى زيادة ضغط السكان على الموارد الحالية للبلاد ، وما يتبع ذلك من خفض مستوى المعيشة .

غير أننا ينبغي أن نذكر أن مصر كانت تعاني نقص السكان أما كان عدد قطانها يبلغ مليونين ، وإننا لم نستطع الزعم بأن هذا النقص قد عولج إلا في القرن الحالي . ولا يمكن

(١) The Economic Development of Modern Egypt.

القول إن مصر مزدهرة اليوم بالسكان ، فهناك مساحات كبيرة من الأراضي حديثة العهد بالاستصلاح في شمال الدلتا وقف تقدمها فعلاً بسبب نقص الأيدي الزراعية العاملة . ففي منطقة شربين تبلغ كثافة السكان ٩٥ نسمة في كل كيلومتر مربع ، وفي كفر الشيخ تبلغ ١١٣ نسمة ، وفي كفر الدوار تبلغ ١٣٠ نسمة . وتبلغ كثافتهم من ناحية أخرى في ههين السكوم ٨١١ ، وفي منوف ٧٦٨ ، وفي ميت غمر ٧٠٦ . ويبدو أن في هذه المناطق عدداً زائداً على الحاجة من السكان . والمشكلة الرئيسية هي مشكلة سوء توزيعهم . غير أن الفلاح محافظاً بطبعه ومن أعسر الأمور إقناعه بتغيير مكان سكنه ولا سيما أهل الصعيد الذين يعيشون في مصر العليا .

وليس ثمة بوادر تدل على احتمال ازدهار البلاد بالسكان في الغد القريب لأن الأراضي الصالحة للزراعة في مصر يمكن زيادتها بمقدار ٥٠ في المئة إذا أنفقت بضعة ملايين من الجنيهات على الري والصرف .

وبديهي إننا سنصل في النهاية إلى المرحلة التي تصبح فيها زيادة مساحة الأراضي الزراعية صعبة أو مستحيلة . وكلما زدنا الضغط عليها أدى ذلك إلى نقص الغلة في مناطق واسعة . وإذا ظل عدد السكان ينمو طوال هذه المدة ، فقد ينشب أمام أعيننا خطر زيادة ضغط السكان على موارد البلاد . بيد أننا نستطيع أن نأمل ، قبل بلوغ تلك المرحلة أن يفضي التعليم العام وتوفير الوسائل الصحية ، والتأثير النفسي للقرى النموذجية ، والعوامل ذات التأثير التي تستخدم الآن (كالسيارات واللاسلكي والجمعيات التعاونية ... الخ) أن تفضي جميع هذه العوامل إلى غرس الرغبة في الفلاح في تحسين حالته الصحية والاجتماعية ورفع المستوى العام للمعيشة في القرى ، فينمو الجيل الجديد مشبعاً بآراء أوسع أفقاً من آرائنا ، وأقوى عزيمة من أسلافه ، فيرى الفرد — كما يحدث الآن في عدد كبير من البلدان الأخرى — أن يخفض عدد أفراد أسرته رغبة في تحسين حالة معيشة أطفاله .

واتقدم الصناعة -- في هذه الحالة -- شأن كبير . ولا يزعم أحد أن تصبح مصر دولة صناعية تتخلى عن الزراعة كلية . ومن المبالغة أن نحسب أن الصناعة تستطيع توفير عملٍ لعدد لا حد له من السكان المتزايدة العدد . وتستطيع الصناعة في الآونة الحاضرة أن تستوعب بضعة آلاف آخرين من العمال من السكان الذين قد يصل تعدادهم قريباً إلى عشرين مليوناً . غير أن الأجور المرتفعة التي يتقاضاها العمال في الصناعة من شأنها أن ترفع مستوى المعيشة في الريف إما مباشرة : بأن ترفع المستوى ارتقاءً كلياً بالنسبة لما كان عليه قبلاً ، أو غير مباشرة : بأن تزداد هجرة الريفيين إلى المدن وسيطرد ازدهار الصناعة بدوره

لأن تحسين مستوى المعيشة في المناطق الريفية سيؤدي حتماً إلى زيادة حاجات الريفيين . وكلما تحضر الشعب كثرت مطالبه وزادت حاجاته .

غير أننا لا نستطيع أن نرجو حدوث تقدم فعلي ما لم يحقق الرخاء الزراعي . ويجمع جميع المطلعين ، وتجمع الإحصاءات كذلك ، على أن الأراضي التي تروى ريثاً دائماً رغم أنها تنتج أكثر من محصول واحد في العام ، تميل سريعاً إلى فقدان خصوبتها . وتحتاج تبعاً لذلك إلى مقادير مطردة الزيادة من الأسمدة والمخصبات الكيميائية . وحتى بعد التوصل بهذا العلاج ، يصبح معدل المحصول أقل بكثير من محصول الأراضي التي تروى بنظام ري الحياض . ويحتمل أن تكتشف في المستقبل وسيلة تجمع بين الخصوبة التي تتأتى من تلقاء ذاتها وفقاً لنظام الحياض ، وبين زيادة عدد المحاصيل التي تنتج عن نظام الري بالترع (أي وسيلة تجمع بين خير ما في نظامي الري الدائم والحوضي) . ومن الضرورات الأولى لتحقيق هذا ، اتباع نظام الصرف الملام : أما الضرورة الثانية فهي إتاحة فرصة كافية للتربة تستريح فيها .

وقد يأتي زمن يوضع فيه تشريع ينص على الفترات التي تستريح فيها التربة في شتى المناطق . وقد يكون من الصالح إلى جانب ذلك أن تغطي الأراضي التي « تستريح » من غناء الزراعة بماء الفيضان مرة في كل سنتين أو ثلاث سنين لكي تجدد التربة شبابها بانتظام وتستعيد خصوبتها ومقدرتها الإنتاجية .

ويبدو أن أيسر سبل الإصلاح اتباع ما يلي :

أولاً — يجري العمل سريعاً لتحويل الأراضي الخاضعة لنظام الحياض في مصر العليا إلى أراضٍ تروى ريثاً دائماً . وسيؤدي ذلك إلى إضافة نحو مليون فدان أخرى إلى الأراضي التي تروى ريثاً صيفياً وإلى زيادة بمائة في مساحة الأراضي التي يمكن زرعها قطناً . ثانياً — ينبغي درس مسألة إنشاء خزانات كبيرة أخرى في أعالي النيل . ويمكن القول إن ضبط النيل ، لأنه لم يتم حتى الآن ، لم يبدأ بعد . وما دامت مقادير كبيرة من الماء تضيع هباءً في كل خريف مع الفيضان ، وجب أن نقول إن ضبط النيل غير كامل . وقد وضعت فعلاً بعض المشروعات لإنشاء ماسلة كاملة من الخزانات عند منابع النيل ، ويرجى أن تقضى هذه المشروعات عقب تحقيقها إلى التحكم في هذا النهر الجبار المارد ، ووضعه تحت إشراف مهندس الري وإمرته .

وسيعوزنا مورد مطرد الزيادة من الماء لري وإصلاح ما يربى على مليون فدان من الأراضي في الوجه القبلي ريثاً سنوياً ، وإصلاح نصف مليون فدان من الأراضي البائرة

في الوجه البحري ، ولزيادة مساحة الأراضي المزروعة أرزاً وتحسين وسائل الري في الوجه البحري وتوفير الماء اللازم للتبكير بزراعة محصول القمح النيلية الكبير . ويقدر أن مقدار الماء الذي يخزنه خزّاناً أصوان وجبل الأولياء في الوقت الحالي لا يتجاوز نصف الكمية التي منتهى الحاجة إليها عند تنفيذ مشروعات الإصلاح .

وتتقدم الآن أعمال تحويل الأراضي إلى الري الدائم وإصلاحها في الوجه القبلي تقدماً حثيثاً . أما في الدلتا فإن نشر وسائل الصرف من جهة ، وزيادة موارد الماء الصفي من جهة أخرى ، هما من الضرورات الأولية لمباشرة أعمال إصلاح الأراضي المزمع تنفيذها . غير أن كل تقدم آخر يعرفه قلة الأيدي العاملة — وهو أمر يبدو عجيماً في بلد مكتظ هكذا بالسكان . ومن الصعب ، ولا سيما في الوجه القبلي ، إقناع الفلاح بالمهاجرة علاوة على أن ما يعرفه الهجرة رأس المال الكبير الذي يمس الحاجة إليه في كثير من الأحوال . ولذلك ، قد يبطئ التقدم في الوقت الحالي إلى أن يزداد عدد السكان في تلك المناطق ويتوفر رأس المال اللازم .

وينبغي أن نلاحظ أن تحويل الأراضي التي تروى بالحياض إلى الري الدائم لا يصادف تأييداً إجماعياً ، لأن الخبراء الزراعيين يقولون إن خصوبة التربة تميل إلى الهبوط ، وإن معدل الإنتاج يميل إلى النقص إذا عولجت الأراضي الزراعية بهذه الكيفية . وهنا تبدو مشكلات الصرف ، ونعوزنا مقادير متزايدة من الأمدة الصناعية الغالية الثمن . والواقع أن النظام الحالي يؤدي إلى ضياع قدر كبير من الانتاج ، فبدلاً من أن يستخدم طمي النيل الخصيب في تجديد التربة سنوياً ، يضيع هباءً ويلقي به النهر إلى البحر مما يضطرنا إلى تعويض هذا النقص باستخدام الأمدة الكيماوية . والنظام المنطقي الصحيح هو أن نعمل على الجمع بين الري الصفي والفيضان السنوي ويمكن تحقيق هذا في مساحات كبيرة من الأراضي التي لا تزال تروى حياضياً باستخدام مضخات ارتوازية بدلاً من تحويل الأراضي من الري بالحياض إلى الري الدائم . وقد يتبين لنا مستقبلاً أن من الخير استخدام نظام الفيضان الموسمي في المناطق التي حولت فعلاً .

وعلى كل حال ، فإن النظام الحالي ، وضياع ماء الفيضان المحمّل بالطمي في البحر المتوسط هو تبذير وإمراغ جليان لا مدعاة لها وإفراط في مواد ثمينة . فإن ثلثي ما يجري في بحري النيل من الماء ، يصب في البحر المتوسط سنوياً ويحدث هذا في أشهر الفيضان أي من شهر أغسطس إلى شهر ديسمبر عندما يستمدّ النهر تسعين في المئة من مائه من نهري عطبرة والنيل الأزرق ، ويكون الماء محملاًً بحمل مخفي من الغرين من جبال إثيوبيا . وكان جزء

كبير من
قبل أن ي
على مصر
فيندفع الم
صفاء الب
الغرين إلى
ثمانية آل
ولو أ
للدلتا بد
المساحات
(المت
الحكومة

بحري
«
«
«

وكل
القنوات ،
الشمالية .
طبقات م
بحري الفيض
ساحل الب
المشروعات
جنوبه من
المستديم
وبتنته

كبير من هذا الماء يحوّل إلى الأحواض (وفقاً لنظام الري بالحياض) فيرصب الطمي فيها قبل أن يواصل الماء سيره إلى البحر . أما اليوم ، فإن عيون جميع القناطر والسدود تفتح على مصراعيها إبان فترة الفيضان خشية أن يعوق الطمي عملها أو أن يرصب في الخزانات ، فيندفع الماء كله بسرعة دفّاقة رأساً إلى البحر حاملاً معه شحنة غنية من التربة البكر ، تعكر صفاء البحر المتوسط وتحمل زرقته إلى لون ترابي قائم لمسافة بضعة أميال ، ثم يضيع هذا الغرين إلى غير رجعة . ويقدر أن الطمي الذي يفقد في كل عام لو وزع توزيعاً عادلاً على ثمانية آلاف فدان ، لبلغ ارتفاعه متراً .

ولو أن هذا الراسب الثمين اختزن في البحيرات المنخفضة على طول الساحل الشمالي للدلتا بدلاً من قذفه إلى البحر المتوسط لأمكن سريعاً - وبدون كبير نفقة - تحويل هذه المساحات الشاسعة إلى أراضٍ خصبة صالحة للزراعة .

(المترجم : تبلغ مساحة البحيرات الشمالية التي يشير إليها الكاتب حسباً جاء في تقويم الحكومة المصرية لعام ١٩٣٨ ، ٦٤١٠٠٠ فدان تفصيلها كما يلي :

بحيرة مريوط ٥٩٠٠٠ فدان

« ادكو ٣٥٠٠٠ »

« البراس ١٤٠٠٠٠ »

« المنزلة ٤٠٧٠٠٠ »

جملة ٦٤١٠٠٠ فدان

وكل ما يعوزنا لإصلاح هذه البحيرات هو تحويل ماء الفيضان بوصاطة سلسلة من القنوات ، إلى البحيرات ، ثم ترك الماء يشق طريقه إلى البحر بنفسه عن طريق الفجوات الشمالية . وسيفضي إبطاء مجرى النهر إلى ترسيب الطمي في قعر البحيرات وسرطان ما يؤلف طبقات مميكة . وكلما ارتفع مستوى الأرض بما يرصب عليها من الغرين ، أمكن تحويل مجرى الفيضان إلى مناطق أخرى . ولا يزال في الوجه البحري أراضٍ واسعة منخفضة بطول ساحل البحر المتوسط يمكن إصلاحها . غير أنه من الضروري الإسراع في تنفيذ هذه المشروعات في أقرب وقت ممكن . ويقدر أن قيمة الغرين الذي يضيع الآن تبلغ مليون جنيه سنوياً . وقد بلغت الخسارة الآن حدّاً أعلى بسبب تحويل أراضي الحياض إلى الري المستديم .

وبتنفيذ مشروعات الري الجديدة مستقبلاً في السودان وأثيوبيا وأوامط أفريقية ،

يمكن التدرج في ضبط النيل . والهدف الأسمى الذي يهدف اليه مهندس الري هو الوثوق من عدم ضياع قطرة واحدة من ماء النيل . وسيأتي الوقت الذي فيه لا يقذف الى البحر سوى ماء الصرف المحمل بالأملاح . ولكن قبل أن يجيء هذا الزمن ، ينبغي أن تلتفت مصر إلى تدبير هذا المورد المؤكد من الثروة التي تضيق اليوم هدرآ .

ولعل مشكلة الصرف أدعى إلى الاسراع في علاجها من صواها ، فقد أدركت الحكومة أن من الواجب عليها في هذا الصدد توفير مصارف عميقة رئيسة مجهزة بمضخات قوية لتجعل مستوى ماء التربة منخفضاً . غير أن هذه المصارف الرئيسية ، لكي تصبح ذات تأثير فعال ، تحتاج إلى أن تكون متصلة بعدد لا حصر له من المصارف الثانوية تغطي المنطقة التي يراد صرف الماء منها بأسرها . وإن توفير هذه المصارف مهمة كبيرة تلقى على عاتق الحكومة لأنها لا تملك الهيئة التي تشرف عليها أو الوسائل التي تعالجها بها ، وليس من وسيلة لارغام أصحاب الأملاك أنفسهم على توفير المصارف في أراضيهم . ولن يكون من المتيسر تنفيذ هذا . فنظام الصرف ، ليكون فعالاً ، ينبغي أن ينظم في رقعة واحدة واسعة بمقتضى نظام تعاوُن يكون لكل فلاح نصيب فيه . غير أن عدداً كبيراً منهم لا يملك المال اللازم لتحقيق هذا المشروع الكبير النفقة . فضلاً عن أن توفير المصارف المكشوفة (كالترع) مضيعة للأرض التي تشغلها لأن عشرة في المئة من الأراضي المزروعة تستغل في المصارف المكشوفة . أما صغار الملاك ، فإن حفر مصارف مكشوفة ، مهما تكن صغيرة ، كافٍ لأن يشغل أرضهم بأسرها . وحل هذه المشكلة قد يكون بتوفير مصارف مغطاة ، وهي أنابيب تمتد تحت الأرض على عمق مناسب بنظام منحدر قليلاً لتستدرج ماء التربة إلى قنوات الصرف . ولهذا النظام مزايا جمة ، فتمّ تحقيق هذا المشروع ، لن تحتاج الأنابيب إلى نفقات أخرى لصونها ، ويصبح الصرف مؤكداً ، ولا يضيق شيء من الأرض كما هي الحال في المصارف المكشوفة .

ويبدو أن الحكومة ليست على استعداد الآن لتشرع في تنفيذ هذا المشروع الوئاب . غير أنه من الواضح أن المشروع لا يمكن تحقيقه تحقيقاً مرضياً إلا إذا أمكن تنظيمه تنظيمًا مركزيًا . وعلى هذا ، فالحل النهائي هو أن تواف الحكومة الهيئة اللازمة للإشراف عليه ، على أن تقتسم الحكومة والزراع نفقاته عن طريق زيادة الضرائب الزراعية مثلاً .

مايو

ويبدو

المصري .

كبيرة تدبر

القطنية قد

وهو الذي

في سعر الق

وقتياً وأما

من جديد

ويحتمل

تقدم صناعة

الحلي . و

النسج الحلي

منها . فاذا

فلن تستهلك

مستقبلاً ،

والواقع

يمكن مواجه

الحكومة ت

تعتمد المصار

الشأن . و

رخيصة لينس

وإلى بيع الق

ومن ال

خير مصالحها

وضعت سيا

مباشرة أن

القطن المصري

ويبدو أن هناك شيئاً من الريب في أن يظل القطن لسنوات قادمة محور الاقتصاد المصري . فليس في مصر محصول صواه يمكن زراعته في مساحات واسعة وبيعه بمقادير كبيرة تدر على الفلاح المصري ريعاً يوازي ريعه من بيع محصول القطن . وإذا كانت الزراعة القطنية قد تقدمت في مصر ، فسبب ذلك راجع إلى أنها برهنت على نجاح شهده محمد علي ، وهو الذي أدخل هذه الزراعة في مصر ، ثم أحس به الفلاح نفسه . وإن أيّ نزول كبير في سعر القطن قد يفضي — وكثيراً ما أفضى — إلى عدول بعض الفلاحين عن زراعته وقتياً واستبداله بمحصولات أخرى . غير أن الأسعار ما تكاد ترتفع حتى يقبل الفلاح من جديد على استنبات القطن .

ويمحتمل كذلك أن تواصل مصر إصدار نسبة كبيرة من محصولها إلى الخارج وقد أفضى تقدم صناعة الغزل والنسيج في مصر إلى حجز مقادير مطردة الزيادة في هذه البلاد للاستهلاك المحلي . ومصر تستهلك في الآونة الحالية خمسة في المئة من المحصول لاستخدامه في صناعة النسيج المحلية . ويوازي انتاج المنسوجات القطنية المحلية نحو ثلث ما تحتاج البلاد إليه منها . فإذا أتى وقت استطاعت فيه مصر أن تنسج كل ما تحتاج إليه من المنسوجات محلياً ، فلن تستهلك سوى خمسة عشر في المئة من الانتاج القطني الحالي . وإذا زادت غلة القطن مستقبلاً ، كما هو متوقع ، فإن النسبة ستخفض عن هذا التقدير .

والواقع أن شطراً كبيراً من الحاجة المحلية ينصب على السلع القطنية الرخيصة وكان يمكن مواجهة هذه الحاجة باستخدام القطن ذي التيلة الضعيفة كالقطن الهندي مثلاً . ولكن الحكومة تحظر الآن استيراد القطن من الخارج ، والنتيجة المباشرة لهذه الحالة هي أن تعتمد المصانع المحلية إلى غزل القطن المصري الجيد لاستخدامه في أغراض ليست كبيرة الشأن . ويبدو أن من مصلحة الاقتصاد المصري عامة الترخيص باستيراد قطن ذي تيلة رخيصة لينسج في المصانع المصرية مما يؤدي إلى خفض أسعار السلع القطنية للطبقات الفقيرة وإلى بيع القطن المصري ذي الرتبة العالية بأسعار مرتفعة في الخارج .

ومن الضروري لمصر كذلك أن تعرف بالتحديد أي اتجاه في التقدم القطني يحقق لها خير مصالحها مستقبلاً . فنذ نشوب الحرب (المترجم — حرب ١٩١٤ — ١٩١٨) وضعت سياسة لا إجراء التجارب تعدل كلما تحول اتجاه السوق . فحدث بعد الحرب مباشرة أن زاد الطلب زيادة غير عادية على القطن طويل التيلة كالسكلاريديس وزاد سعره

على سعر القطن الأميركي كثيراً . وكان الفلاح يتبين أن من الخير له أن يزرع مساحات شاسعة من أرضه بالسكلاريديس رغم إن معدل إنتاج القطن لم يكن كبيراً جداً . وعلى كل حال ، اتجه الرأي منذ ذلك الحين إلى زراعة أنواع رخيصة من القطن للأغراض التي كان السكلاريديس يستخدم فيها قبلاً ، وانخفض سعر هذا القطن لأن الأسواق محدودة نوعاً . وإذا دعت الحاجة مستقبلاً إلى زراعة هذا الصنف الممتاز من القطن ، فلا يُظن أن تستطيع مصر مواجهتها سريعاً .

والسوق الآن محدودة في وجه هذه الأصناف ، غير أن هناك سوقاً غير محدودة للقطن المعروف باسم Uppers . والواقع أن القطن المصري من هذا النوع أجود من القطن الأميركي حتى أن الغزاليين يؤثرون للقطن المصري على الأميركي . ولكن نظراً لأن سوق القطن الأميركي توازي أضعاف أضاعاف ما تستطيع مصر أن تنتجه من القطن فهناك احتمال بأن يباع أكبر قدر من القطن المصري . والعقبة الوحيدة هي مسألة السعر . فإذا بيع القطن المصري بسعر القطن الأميركي كان معنى هذا أن تباع سلعة جيدة بثمن سلعة أقل جودة . ومن الناحية الأخرى لن يكون من المحتمل بيع محصول مطرد الوفرة بثمن مرتفع ما لم يكن هناك طلب عليه . فينبغي أن تهدف سياسة مصر القطنية مستقبلاً إلى العمل على زيادة الطلب على القطن المصري وعلى جعل البلاد الأخرى تفضله عن الأنواع الأخرى .

أما في ما يختص بالأسعار التي ينبغي أن يباع القطن المصري بها ، فإنها تتوقف على السعر العالمي الذي يتحكم فيه الأميركيون إلى حد كبير . وكل ارتفاع أو نزول في الأسعار في أميركا يصحبه تأثير مماثل في مصر . وقد يتفاوت السعران قليلاً ، بيد أن المعروف عادة أن مصر عاجزة عن أن تؤثر تأثيراً حاسماً في سعر القطن في العالم . والأمر الوحيد الذي يتحكم فيه مصر إلى حد ما ، هو أفضلية القطن المصري على القطن الأميركي . وتستطيع مصر إذ تعمل جاهدة على تعريف الغزاليين والعملاء التجاريين بجودة القطن المصري مما يؤدي بدوره إلى زيادة الطلب عليه ، أن تزيد الدخل الاجمالي الذي تظفر به من بيع المحصول . وليس في الطاقة تحقيق هذا إلا بالدعاوة المنظمة وإنفاق بدر المال على الاعلان عن القطن المصري . وسوف تغطي نفقات الاعلان عدة مرات بما تربحه مصر من بيع قطنها .

ولهذا الأمر أن كبير لأن الموقف الحالي في ما يختص بإنتاج العالم من القطن غير مستقر منذ عام ١٩٣٢ احتفظ سعر القطن بمستوى مرتفع بسبب النقص الكبير في إنتاج القطن الأميركي . وعكفت الدول الأخرى على تحسين هذه الفرصة فزادت إنتاج القطن بنسبة كبيرة حتى تضاعف الإنتاج فيها منذ عام ١٩٣٢ . ولا يتوقع أن تستمر هذه الحالة بدون تغيير

والإجراء البديهي
قطناً والمصالح المت
تركز السيطرة على
ويقضي هذا إلى
غير أن هذا سي
المحصول الرئيسي
أن بعض البلدان
بلا ريب بنزول أو
بدلاً منه . غير أن
العودة إلى زرع
المحصول الذي يد
نفقات الإنتاج
الأحوال الجديدة
ويعود إقبال
وثانيتها : انتاجه
وعلى الرغم
القطن من القطن
وينبغي أن
زيادة انتاج القطن
ارتفاع انتاج القطن
وليس معنى
الحاجة الشديدة لت
أساس الرخاء الا
يتضح أنه وفي
القدر وحسب ،
سيحدث لامناص

والإجراء البديهي هو عقد مؤتمر عالمي للدول منتجة القطن . غير ان زيادة المساحة المزروعة قطناً والمصالح المتباينة للدول التي تزرعه تجعلان من العسير جداً إدراك اتفاق عام . وان تركيز السيطرة على الأسواق في يد أميركا ستنبه فترة يمكن أن يزيد الانتاج فيها على الاستهلاك ويفضي هذا الى نزول عام في الأسعار . وإذا تركت السوق حرة فان السعر سيحدد نفسه بنفسه ، غير أن هذا سيكون له ضحايا . أما المناطق التي تنتج القطن على الهامش (أي أنه ليس المحصول الرئيسي لها) فستضطر إلى العدول عن انتاجه بسبب نزول أسعاره . ولا ريب في أن بعض البلدان يستطيع أن يتحول إلى زراعة محاصيل أخرى . أما مصر ، فانها ستتأثر بالاريب بنزول أسعار محصولها الرئيسي ، بل يحتمل أن توجه النية الى زراعة محاصيل أخرى بدلاً منه . غير أن المزايا الطبيعية العظيمة التي تساعد مصر على انتاج القطن قد تحفزها على العودة الى زرع القطن حالما يعود السعر العالمي الى مستوى اقتصادي مستقر لأن القطن هو المحصول الذي يدر على زراعه أكبر دخل فضلاً عن أن انتاج مقادير كبيرة منه وقلة نفقات الانتاج (باستثناء ايجارات الأراضي ويحتمل أن تنزل قيم الايجارات بسبب هذه الأحوال الجديدة) سيجعلان لمصر مقاماً ملحوظاً كبلد منتج للقطن .

ويعود إقبال مصر على زراعة القطن الى صبيين رئيسيين أولهما ، كما أسلفنا ، جودته وثانيهما : انتاجه الوفير .

وعلى الرغم من التدهور الذي حدث في مستهل هذا القرن ما فتئ متوسط انتاج الفدان من القطن في مصر يبلغ نحو ثلاثة أضعاف متوسط انتاج الفدان في أميركا . وينبغي أن يهدف الفلاح والحكومة الى زيادة المزايا التي تتمتع بها مصر ، وذلك بزيادة انتاج الفدان وتحسين أنواع القطن . وإذا تسنى إتمام ذلك فليس ثمة ما يحول دون ارتفاع انتاج القطن إلى ١٥ مليون قنطار أو أكثر .

وليس معنى هذا أن تزرع مصر القطن دون سواه من المحاصيل الأخرى ، بل إن الحاجة الشديدة لتدعو — على النقيض من ذلك — إلى أن تسعى مصر سعياً حثيثاً إلى تعزيز أساس الرخاء الاقتصادي بإدخال محاصيل جديدة ، والتوسع بقدر الطاقة في زراعة ما يتضح أنه وفير الربح . ولن تقتصر جدوى ذلك على توفير موارد ثروة إضافية كبيرة القدر وحسب ، بل ستساعد على الافلال بقدر المستطاع من التقلب الاقتصادي الذي سيحدث لامناس ما دامت ثروة مصر تتوقف على سعر محصول واحد .

وربع فلسطين

الجهر الكهربائي

وصفت الجهر الكهربائي ، وصفاً مقتضباً وذلك في نبذة بعنوان « ثمرات الحرب (الأخيرة) في العلوم والفنون » نشرت في باب الأخبار العلمية بمقتطف يناير سنة ١٩٤٥ ، ثم ضمن مقال آخر تحت عنوان (أحدث المكتشفات التي أسفرت عنها الحرب الماضية ، نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ ، ثم في غير ذينك الجزئين — فجاءتني عقب ذلك عدة رسائل من فئة من القراء والمشاركين الجدد ، تطلب إلي كتابة مقال مسهب ، على ذلك الجهاز العجيب ، مع توخي تبسيط الموضوع ما أمكن ، فوعدتهم بإجابة رغبتهم عندما تسمح الفرصة ، وهأنذا موفّر بوعدتي لهم فيما يلي : —

هو جهاز تمّ اختراعه سنة ١٩٤٠ واشتهر في ذلك الحين بأنه أعظم مستنبطات القرن العشرين . بيد أن رائع منافعه العامة والخاصة ، وكذا ثماره العلمية البانعة المدهشة التي سوف يجنيها العالم في مستقبل أيامه ، وهي التي لم تذع على الجمهور إلا حديثاً ، تحدونا على موافاة قرائنا بما أسفر عنه هذا الاختراع من المنافع الباهرة واليك البيان : —

لا مرأى في القول أن هذا الميكروسكوب قد شقّ طريقه في عشرات الميادين ، خير البشرية ، فخلق بنا أن نعترف مع التحفظ ، بأنه لم ينفقه في خطر شأنه في التاريخ إلا القليل من المخترعات . ولنضرب لك الأمثلة الآتية وهي تشمل أشياء شتى مما تقع عليه أبصارنا في جميع أحوالنا . ولنبدأ بملايسنا أولاً وهي من ألزم لوازمنا ،

فكل منا يكره مثلاً انتفاخ بنطالونه عند موقع ركبتيه منه وذلك في جلوسه وعند سيره ، وكانت هذه المعضلة مما حلّها الجهر الكهربائي . ذلك لأنه أقوى من سائر المجاهر البصرية بدرجة تتفاوت بين خمسين مرة ومائة مرة . وهذا من شأنه تسهيل الاضطلاع بمهمة فحص الفول الذي تنسج منه المنسوجات ، ثم تحليله تحليلًا مدققاً ودراسته دراسة محكمة بغية الوقوف على مبالغ تأثيره بالمياه والدهن والخواص ، بل سائر المواد التي تستهدف

لها المنسوجات .

بها الى علاج الفول

وتشويه شكلها

الفاخر الى است

من سنّ طاحنة

أقدام وثقله ٥٠٠

أنه يكبر حجم

صور فوتوغرافية

ومن أغرب

ميلاً في الضرس

ولعني بالعالم

المعروف في مدينة

الكيميائية ، وفي

من التلف ، عندما

وقد أصبح

في التاريخ ، بله

أن قدرًا طفيفاً

على النقطة التي

اجتاح كثيراً من

من الناس ، وكيف

الشكل تكن في أ

ولم يكونوا مخطئين

الميكروسكوب البص

عليهم معرفة المصد

لها المنسوجات . ومن ثم نجح اختراع أنواع فائقة من الصمغ النباتية إبتغاء التوصل بها الى علاج الغزل لتكسب المنسوجات التي تحاك منه، الدرجة القصوى لمقاومة انكماشها وتشويه شكلها . ومن هذا القبيل أن عالماً من أهل متشيفان تذرّع بهذا الميكروسكوب الفاخر الى استكشاف حقائق كثيرة خاصة بالأسنان البشرية ، اذ جاء بأجزاء دقيقة من سنّ طاحنة ووضعها تحت المجهر الكهيري الضخم النفيس الذي يبلغ ارتفاعه سبع اقدام وثقله ١٣٠٠ رطل انجليزي وثمنه ١٣٠٠ دولار فأبصر العجب العجاب . إذ أيقن أنه يكبّر حجم المرئيات مائة ألف مرة . فاستطاع العالم بذلك المجهر البديع التقاط صور فوتوغرافية للقنوات الخيطية الدقيقة التي تتخلل أضراس كل امرئ .

ومن أغرب الأمور أنه قد تبين له أن طول هاتيك القنوات يقرب من خمسين ميلاً في الضرس الواحد ، وأن متوسط ما يحويه من القنوات المشار اليها هو ٨٠٠٠٠٠ قناة . ونعني بالعالم الأمريكي الموماً اليه ، الدكتور . ه . جرولد Dr. C. H. Gerould المعروف في مدينة ميدلند بولاية متشيفان ، وهو مهندس المباحث العلمية في شركة داو الكيميائية ، وفي اعتقاده إمكان الحصول على نتائج مذهشة في منع نقد الأسنان ووقايتها من التلف ، عندما يدخل المجهر الكهيري في ميدان طب الأسنان .

وقد أصبح ميسوراً للأطباء معرفة المصدر الرهيب للأففلونزا . وذلك لأول مرة في التاريخ ، بله التمكن من قياسه ومشاهدة شكله . وهو المصدر الذي بلغ من دفته أن قدراً طفيفاً جداً منه يكفي لحقن خمسمائة فأر وقتلها بحقنة منه لا يزيد حجمها على النقطة التي منتهى بها هذه الجملة . وما برحنا نذكر وباء الأففلونزا المروع الذي اجتاح كثيراً من آفاق العالم منذ أكثر قليلاً من ربع قرن ، حيث قضى على ملايين من الناس ، وكيف كان العلماء حينئذ يعزون ذلك الوباء الى جرثومة صغيرة عسوية الشكل تكمن في أنوف المصابين وحلقهم . ثم اختراع العلماء لقاحاً لعلاج ذلك الداء . ولم يكونوا مخطئين في كشف مصدر المرض ، ولكنهم لم يدركوا صغر حجمه ، ذلك لأن الميكروسكوب البصري المعروف يكبر قطر الشيء المرئي ٢٠٠٠ مرة . ومن ثم تعذرت عليهم معرفة المصدر الحقيقي للعدوى لتناهي دفته تنادياً جعل الخلايا التي تكبره وتهدق

به، تطنى عليه وتخفيه عن وسائلهم الكشفية. فأفضى الأمر إلى تفضيل الأطباء عند قيامهم بصنع اللقاح الذي أعدوه لذلك القصد. إذ كانت المادة التي استعملوها في تحضيره يظنونها كلها من الفيروس^(١) على حين أنها لم تكن كذلك. بل كان عُشرها خصب منه نفسه وسائرها من الخلايا الكبرى. أما الآن فإن إدراكهم لحجم الفيروس وشكله وتأثيره في المصاب، (كما تتبين بالجهر الكهربي) سيعبّد الطريق للقضاء الأخير على أوبئة الانفلونزا المستعصية المنتشرة في العالم.

ويكاد يستحيل على العقل البشري أن يتصور الآن مبلغ مفعول الجهر الكهربي في مجال تكبير المنظورات. وحسبنا أن نقول إنه يضخم الأبرة المعتادة فيجعلها مثل حجم نصب واشنطن^(٢) ويكبر الجرثومة حتى تبلغ حجم الوسادة. ويضخم كُرَيَّةَ الدم فتصير كحجم مائدة الكتابة.

وبينما يستطيع الجهر البصري المؤلف تخمين الطرف الرفيع لفرخ الورق مثلاً حتى تبلغ ثخانتها ثلاث عقد أصابع، يتاح لهذا الجهاز الجديد تخمينها إلى تسع أقدام. وكذلك يمكنه تضخيم الشعرة البشرية إلى حجم جذع شجرة قطره ست أقدام. ثم إن حقيقة إمكان تكبير الذرات الصغيرة من المواد، فوق أصلها ١٠٠٠٠٠ مرة على الأقل مع الاحتفاظ بجميع تفصيلاتها في صورتها الفوتوغرافية، وكذا تيسير تضخيم الصورة الفوتوغرافية في بعض الأحوال حتى تفوق أصلها ٢٠٠٠٠٠ مرة أو أكثر، هما من العوامل الجوهرية التي تبعث على تحقيق أحلام العلماء، التي فخواها إن جزيئات المادة وذراتها ستصير يوماً ما من المراتب المألوفة. ولا عجب فإن دراسة الجزيئات غدت من الموضوعات التي يعنى بها العلماء. ومن ثمة يزعمون أن الزمن

(١) الفيروس Virus لفظ إنكليزي يقصد به عامل من نواقل العدوى وهو أقل جرماً مما تستطاع رؤيته بالجهر.

(٢) هو نصب مقام في متزه الكابيتول حيث شيدت دواوين الحكومة ومجلس نواب الولايات المتحدة الأمريكية. وهو عمود أبيض ضخيم مقام تذكراً لجورج واشنطن أول رئيس لتلك الجمهورية الأمريكية الكبرى ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥ قدماً وله مصعد وسلم حديدي مؤلف من ٩٠٠ درجة يرتقيها الصاعد إلى قننه التي يزيناها رأس من الإيومينيم. ويعتمد ذلك المتزه على شاطئ نهر بوتوماك حيث توجد سلسلة من المباني الحكومية الفخمة ومنها المتحف الوطني والمعهد السمبثوني.

الذي سيتمكنون
إظهار ذرات الأ
عقدة الأصبع
إبصارها.

وقد بُدء في

التي جربت في الق

برتون، وذلك

الدكتور ف. ك

الكهربي في التجا

ويربى عدد الجها

العلوم والصناعا

المباحث التي دار

أما قاعدة اد

الميكروسكوبات

وإنما قوام (الرؤ

بوساطة طاقة كه

والمعروف أ

الضوء نفسه أي و

أيضاً ولكن دور

أما طول موج

مرة. ومن ثمة تع

صمام كهربي ضخم

وفي ميدان ع

مصادر عدوى ال

الذي سيتمكنون فيه من رؤية الذرة قد أزعج ، ما دام في وسع الميكروسكوب الكهربي إظهار ذرات الأشياء الصغيرة جداً التي لا يزيد قطرها على جزء واحد من عشرة ملايين من عقدة الأصبع . أو بمقاييس أخرى الذرات التي تقل ٤٠٠٠٠ مرة مما تستطيع العيون البشرية إبصارها .

وقد بُدء في أوروبا بالأعمال التمهيدية لهذا المجهر منذ سنة ١٩٢٠ . أما التجربة الأولى التي جرت في القارة الأمريكية فحدثت في كندا في سنة ١٩٣٦ إذ قام بها الدكتور إ. ف. برتون ، وذلك في جامعة تورنتو حيث أنشأ أول مجهر من هذا النوع في أمريكا . وكان الدكتور ف. ك. زووريكين الموظف بشركة الراديو الأمريكية أول عالم اخترع المجهر الكهربي التجاري الأول وركبه في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في سنة ١٩٤٠ . ويربى عدد المجاهر الكهربية المستعملة الآن في العالم على ١٥٠ مجهراً . وذلك في ميادين العلوم والصناعات . وكانت صلاحيتها للمنافع التجارية إحدى النتائج التي أسفرت عنها المباحث التي دارت في الراديو المصور « التلفزة » .

أما قاعدة إدارة هذا المجهر فهي من المبادئ الإثباتية من كل الوجوه ، في عالم الميكروسكوبات إذ لا تدخل في تركيبه عدسات زجاجية ولا تسلط عليه أشعة ضوئية . وإنما قوام (الرؤية) فيه ، موجات موجهة من الكهربيات تطلق بسرعة لا يصدقها العقل بوساطة طاقة كهربية تبلغ ٥٠٠٠٠ فولط ، ثم تضاعفها المجالات المغناطيسية .

والمعروف أن أقصى قوة التكبير للمجهر البصري هي ٢٠٠٠ مرة وذلك بحسب نوع الضوء نفسه أي وفق ما يسمح به طول الموجة الضوئية بأسرها ، ويمكن تكبيرها (المرئيات) أيضاً ولكن دون تكبير دقائقها .

أما طول موجة الكهربيات عند ما تطلق بسرعة عظيمة فتعادلها في الضوء ١٠٠٠٠٠ مرة . ومن ثمة تصير احتمالات التضخيم بها أكبر نسبياً . وهذا المجهر هو في الواقع صمام كهربي ضخم ، ويعد صنواً أكبر لصمامات الراديو الذي في دارك .

وفي ميدان علم الجراثيم يستعمل هذا المجهر لمشاهدة البكتيريا وتصويرها ولتكشف مصادر عدوى الأمراض التي تستحيل رؤيتها بالمجهر الضوئي المألوف . ذلك لأنها أدق جداً

كما يكشف بوساطته . كما يستعمل لدراسة تكوين البكتيريا والخلايا البشرية وغيرها من دقائق الأجسام ، التي لم تبصرها عين قط .

ومما يجدر ذكره بشأن استعمال المجهر الكهيري في الميدان التجاري ، أن صاحب مدرسة كبيرة لتربية المواشي في إقليم وآيو منج الواقع في غرب الولايات المتحدة الأمريكية افتنى حديثاً بمجهراً كهيرياً ليتخذ به وسيلة لاستكشاف خصب الثيران . ثم استخدم طبيبياً بيطرياً ليمارس هذه الدراسة قصد الوقوف على العوامل المختلفة التي تجعل بعض الثيران الخصبة المنتقاة ، التي يخيل لناظرها أنها أصلح ما تكون للغرض المطلوب منها فيخيب الظن فيها إذ يقل نتاجها عن الثيران التي هي أحط منها .

وقد حذت حذوه شركة الأليومينيم الأمريكية فاستخدمت مجهراً كهيرياً لمراقبة منتجاتها ، ولمراجعة نماذج المواد وخصها . وأتيح لشركة كبيرة لازيت المعدني أن تكشف بهذا المجهر أسباب انسداد مرشحاتها الضخمة وتوقفها عن عملها ، إذ تبين بوساطته أن مصدر تعطيل هاتيك المرشحات هو افتقارها الى مفتاح محكم يتحكم في الحرارة .

وربّ قائل يقول ، عقب اطلاعه على الصور الفوتوغرافية العجيبة التي تصوّر بالمجهر الكهيري ، ونعني بها صور دقائق عوامل نقل الأمراض ، وأحجائها وأشكالها وتكوينها ، « ماذا عسى أن نستفيد من هذه جميعها ؟ » فنحبيه إن تلك الصور ، حيال الناظر إليها غير الفني تشبه في غرابتها وغموضها ، مثيلاتها التي تصوّر بأشعة رنتجن . ولكنها عند العالم المتمرن على « قراءة » الصور الفوتوغرافية العلمية ، نبراساً قوياً ينير له غوامض مباحثه . ومما لا ريب فيه أن « اختراع الميكروسكوب البصري المعروف قد عبّد الطريق لاكتشاف الجراثيم ودراستها ، ومنها الخاصة بأمراض التيفود والحمى الصفراء والمسلاريا والدفتيريا والسّل التدري . وهو الأمر الذي أفضى إلى علاجها واختراع اللقاحات التي تشفيها أو تمنعها . وهذا كله يوضح لنا ماذا يرجى من المجهر الكهيري . ومثال ذلك البعوض ، وهو آفة عامة فإن هذا المجهر الجديد ، يبين لنا دقائق جسم البعوضة إذ يكبرها حتى تبلغ حجم قبة الكابيتول^(١) فيتيح للباحث عن كشف فرصة رؤية التركيب الآلي

(١) مجلس نواب الولايات المتحدة الأمريكية

المعقد لاسكل عضوه
للأمراض وعدواها
ولا غرو فالمجهر
جداً حتى تظهر دقائق
من مليون من عقد
التفصيلات مستميط
القتال . وقد تمكن
خواطرهم أحقاباً مد
نهاجه . وتسمى أعضا
ولم يكن في وسع الع
تخيل أشكالها ووظائفها
صورها الفوتوغراف
«الباشلس» حيث
أكثر من عشر دقائق
وفي خلال عشر
بعد انقضاء نصف
إذ تتبدد ذراتها الم
في زمن يقل عن يوم
بنشدهونه بلا فتور عش
ومن الميكشافات
تبيان فيروس مرض
السكر ، إذ يظهر على
وقد غدا في إمكان
إذ يتسنى لهم تحليل تو

المعقد لكل عضو من أعضاء البعوضة ووظائفه وتكوينه، فيسهل عليهم معرفة طريقة نقلها للأمراض وعدواها.

ولا غرو فالمجهر الكهربي يضعهم صورة القصبه الهوائية ليرقة البعوضة تضخماً عظيماً جداً حتى تظهر دقائقها جلية كل الجلاء، وإن يكن حجمها الأصلي يقل كثيراً عن نصف جزء من مليون من عقدة الأصبع. فمن المعقول إذن، من كل الوجوه، أن نتوقع كون دراسة تلك التفصيلات مستميط لنا اللثام عن معلومات جديدة تؤول الى وقاية الأنعام من غوائل البعوض القتال. وقد تمكن المجهر الكهربي العلماء من اثبات إحدى نظرياتهم المحبوبة التي جالت في خواطرهم أحقاباً مديدة ونعني بها احتواء الجسم البشري على قوات دفاعية تدرأ عنه الجراثيم التي مهاجمه. وتسمى أعداء البكتيريا والفيروسات (عوامل نقل العدوى) بـ (بكتيروفاج). ولم يكن في وسع العلماء دراسة هذه العوامل الدفاعية أو رؤيتها، وإن كانوا قد استطاعوا تخيل أشكالها ووظائفها. أما الآن فقد أصبح في مقدورهم الحصول على سلاسل رائعة من صورها الفوتوغرافية تمثلها سابحة في مجاري الدم، ثم محتشدة فيه بغية مهاجمة القصبيات «الباشلس» حيث يشاهدون الحرب الشعواء التي تنشب بين بعضها وبعض فلا تستغرق أكثر من عشر دقائق ثم تنتهي بهزيمة الجراثيم.

وفي خلال عشرين دقيقة يتمزق ثملها وتفكك أجزاؤها ثم تتحطم تحطماً تاماً. وذلك بعد انقضاء نصف ساعة. وحينئذٍ تتجلى صورتها الختامية كأنها انفجرت انفجاراً كاملاً إذ تبدد ذراتها المخطمة منتشرة فوق ساحة الوغى. ويتيسر أمام إحدى هذه الصور في زمن يقل عن يوم فتقوم مقام جواب شافٍ، هو الذي ظل رجال المباحث، الطبية يشددونه بلافتور عشر سنوات.

ومن الميكشفات التي تكشفها بالمجهر الكهربي فأحدثت انقلاباً في ميدان الزراعة نبيان فيروس مرض البرقشة «التبقيع» الذي ينتاب التبغ (الدخان) والذرة وقصب السكر، إذ يظهر على أوراقها فيفسد محصولاتها فيخسر أربابها سنوياً ملايين الجنيهات، وقد غدا في إمكان العلماء دراسة ذلك العدو الأزرق الذي يفسد الدخان، دراسة محكمة إذ يتسنى لهم تحليل تركيبه ومعرفة تكوينه. وستكون الخطوة التالية التي سيخطونها هي

اختراع الوسيلة التي تقضي عليه قضاء مبرماً . (وقد علمت من المطلعين أن وزارة الزراعة المصرية ستقتني مجهرًا كهربائيًا عما قريب لتستخدمه في مباحثها)

والمجهر الكهربائي يكبر قيلة القطن الصغيرة جدًا فيجعلها تظهر لنا طويلة كعمود المصباح . وهذا عدا إظهاره لتكوينها الداخلي . فيتبين الخبراء وجودها كثيرة بشأن سر صلاحية القطن وتفوقه . وهي الصلاحية التي جعلته لاغنى عنه في شتى المرافق وأعمالها .

وبالمجهر الكهربائي تيسر لأول مرة رسم ذرات الزبد التي توجد في اللبن الحليب ، لتسهيل فحصها ، وكذلك صار بحث أدق ذرات الصلب بحثًا صحيحًا أمرًا ميسورًا ، بغية تقديم معلومات صحيحة إلى المهندسين ، وإرشادهم إلى تحسين أنواع الخاليط التي توجد لديهم منه . وهذا إلى جانب تمكينهم من اختراع غيرها .

وفي ميدان المعائن الكيميائية ، يبين المجهر الكهربائي للعلماء طريقة اتحاد جزيئين أو أكثر متشابهين من جزيئات المادة لتكوين جسم مركب ذي جزيئات أثقل وخواص طبيعية مختلفة ، وإن يكن مؤلفًا من العناصر نفسها بالنسب عينها . وهذه هي الوسيلة التي أتاحت تركيب أغلب المعائن الكيميائية المعروفة في هذا العهد .

ثم إن سناج الكربون ، وهو المادة العجيبة التي تمكن إطارات السيارات من قطع مسافات شاسعة تختلف بين ٣٥٠٠٠ ميل و ٥٠٠٠٠ ميل ، قد تمت دراستها دراسة منتجة ، وذلك بالمجهر الكهربائي . وقد تكشف للمهندسين الذين يدرسون الذرات الصغيرة ، الألفة العجيبة الكائنة بين المطاط وسناج الكربون . ثم أسفرت مباحثهم في هذا الموضوع عن استيقان ما يحتاج إليه تركيب المطاط الصناعي ، فنجم عن هاتيك المعلومات ، جعل الكاوتشوك الصناعي يكاد يقوم مقام الطبيعي منه في أداء ما يستخدم فيه من الأغراض .

وبهذا الجهاز الحديث عينة صوّرت صور فتّانة للقال الذي تدور رحاه بين الجراثيم والبكتيريا ، ومنها صورة تبين الجراثيم التي توجد في الصديد . وذلك في وضعها الطبيعي المضطرب ، وصورة أخرى التقطت عقب حقن الجسم بالبكتيريا وهي تمثل الجراثيم ممزقة شرمزق .

× وما برح العلماء يهدفون إلى آتمام جهاز مساعد لهذا المجهر المصري ليكشف لهم

عن العناصر التي
هو اختلاف سر
بتوسيع نطاق
وذلك بمعاونته
وتكثير غلاتها .

ويؤكد كني
شخصية المرء أو
أيضاً عوامل نقل
أما وقد أصيب

عسى أن يحول در
جيل بغيره ١٢

فاذا حل ذلك

صار في وسعنا تم

المجهر وتحسينه أ

المتخلفة ولا سيما في

خطوط مستقيمة

هاتيك المجالات تق

تنبعث تلك الكه

وتركز بمغناطيس

وبعد كتابة

(اختراع جديد يمكن

(١) وهذا ما قلته

نستطيع المجالات المغن

بحرطوم ري الحقائق

جزء ٥

عن العناصر التي يؤلف منها كل نموذج يعرض لقصده به . وقوام ذلك التحليل الكيميائي ، هو اختلاف سرعة الكهيرات في الذرات المختلفة الانواع . ويتنبأ مهندسو المجهر الكهربي بتوسيع نطاق استعماله توسيعاً يشمل ميدان الزراعة فيصبح وسيلة لتحسين المزروعات وذلك بمعاونته للباحثين على كشف وسائل جديدة لمكافحة آفاتهما وزيادة أحجام المنتجات وتكثير غلاتها .

ويؤكد كثير من العلماء وجود هرمونات (رسل كيميائية) ذات تأثير ثابت في نضج شخصية المرء أو قمعها . وأن المورثات «عوامل الوراثة» التي توجد في الخلايا الجنسية هي أيضاً عوامل نقل الميزات الوراثية . ثم يقولون : —

أما وقد أصبحت الجزيئات وربما الذرات أيضاً قريبة من حيز الرؤية البشرية ، فإذا عسى أن يحول دون مشاهدة هاتيك الهرمونات المورثات ثم دراستها . وهي التي تربط كل جيل بغيره ١٢

فإذا حل ذلك العصر المرتقب الذي سوف يتمكن فيه من السيطرة على الوراثة والشخصية ، صار في وسعنا تجديد الجنس البشري تجديداً رائعاً . والمعروف من تاريخ اختراع هذا المجهر وتحسينه أنه منذ سنة ١٩٣٠ حدث تقدم عظيم في تحسين المجاهر الكهربية في الدول المختلفة ولا سيما في ألمانيا إذ تبين للعلماء أن الكهيرات تسير في الصمامات المفرغة من الهواء في خطوط مستقيمة إلا إذا اعترضتها مجالات كهربية أو مغناطيسية . وأنه من الميسور جعل هاتيك المجالات تقوم مقام العدسات الزجاجية وتعمل عملها . وأن في نوع من المجاهر الكهربية تنبعث تلك الكهيرات من فتيلة ساخنة ، كما هي الحال في صمام الراديو ، ثم تنتقل عاجلاً وتركّز بمغناطيس على الشيء المراد فحصه (١) .

وبعد كتابة ما تقدم اطلعنا على نبذة في إحدى المجلات العلمية الأمريكية بعنوان (اختراع جديد يمكن المجهر الكهربي من رؤية الدقائق التي لا يزيد حجم كل منها على جزء من

(١) وهذا ما قلته حرفياً في مقال على معجزات العلوم والفنون نشرته في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ نستطيع المجالات المغناطيسية والكهربية توجيه موجات الكهيرات الى أي صوب كما يتيسر لك توجيه المياه بحرطوم ري الدقائق الى أية ناحية تقصدها .

٥٠ بليوناً من عقدة الأصبع فرأينا أن نلحقها بهذا البحث مسرورين لأنها تحقق ما تكهن به العلماء وورد ذكره في هذا المقال وذلك في الفقرة المميزة بهذه العلامة \times بصفحة ٣٥٩ قد تمت حديثاً زيادة قدرة المجهر الكهربائي في تضخيم حجم المرئيات من مائة ألف مرة إلى أكثر من مائتي ألف مرة وذلك بعدسة مغناطيسية حسنة اخترعها الدكتور جيمس Dr. James Hillier هيليار وبمعاونة زميله بري ميث ، وهما يعملان في معاهد المباحث العلمية الخاصة بشركة الراديو الأمريكية في رنستون باقليم نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية وقد أعلنت هذه الخطوة العظيمة في سبيل فتح العالم الذي هو أحط من المرئيات الصغيرة جداً التي لا ترى بالعين المجردة . وقد تم هذا الاعلان برسالة علمية قدمها إلى المعهد الأمريكي لعلم الطبيعيات الدكتور هيليار ، ذكر فيها أنه قد نجح في تحسين العدسات المغناطيسية التي تركز الموجات الكهربائية تركيزاً بالغاً من شأنه تسهيل تمييز الدقائق التي تنفصل عن الأجسام انفصالاً لا يزيد بعد كل منها عن الأخرى على جزء من خمسين بليون من عقدة الأصبع .

ورغم هذا الظفر العلمي العظيم فقد أوضح الدكتور هيليار أنه لا يزال تجاهده مضلات فنية حجة تستوجب الحل قبل تعميم هذه الدرجة السامية من القدرة على التحليل لتحويل صورة جلية جامعة لدقائق المرئيات ونشرها بين العلماء أجمعين .

والمظنون أن للدقائق المؤلفة للجزيئات الكبيرة ، وكذلك تأثير العقاقير في البكتيريا يستكون من ضمن الأشياء التي سيكشف عنها اللثام فتتجلى للأنام في مستقبل الأيام ولا يخفى أن الصور الصحيحة التي تستطاع رؤيتها ونعني بها الصور الخاصة بتكوين الجزيئات ، ستفتح ميادين رحبة جديدة في الكيمياء العضوية ، وهو العلم الذي حباها بمواد النيون والحرير الصناعي وغيرها من المعجائن الكيميائية . كما أمدنا بالمطاط الصناعي والعقاقير المنقذة للحياة . أما في ميدان الطب ، فنلحق أن معلوماتنا الجديدة الخاصة بالتكوين الدقيق للفيروسات (عوامل نقل عدوى الأمراض) والخلايا الحية ستساعدنا مساعدة جلية على استئصال ذئب الهادين الذين لم نتغلب عليهما حتى الآن ، وهما شلل الأطفال والسرطان . ولا يحصى قبل ختم هذا البحث من وصف أجزاء هذا المجهر الجبار

وطريقة استعماله
تنبعث منه كم
هذا القطب الكهربائي
دائرة جوفاء تو
كشعاع موازية لا
يتفاوت بحسب
صورة مكبرة
أيضاً بالجمال الم
المغناطيسيات الك
المغناطيسية. ولك
بل يتاح إحداث
تؤلف بشعاع كم
فتصنع بجعل الشع
الشعاع الكهربائي
المراد خصه بالمجهر
من الهواء . ومن
الكهربائي العام
فينجم عن ذلك
رؤيتها .

وقع في المقال
عليه في حينه وهو ،
وهو هي ذي : —
فيقوم التليفون

وطريقة استعماله فنقول إن مصدر الاضاءة في المجهر الكهربي ، قطب كهربي سلمي ساخن تنبعث منه كهريات فتعمر هذه الكهريات بقطب ايجابي في وسطه ثقب صغير . ويشحن هذا القطب بكهربا ايجابية تعجل مسير هاتيك الكهريات . وفي المجهر لفة سلك على شكل دائرة جوفاء تولد مجالاً مغنطيسياً يقوم بحني مجاري هاتيك الكهريات حنياً يصيرها كشماعة موازية للجسم المراد فحصه فتسلط عليه فتخترق الاشعة الكهربية ذلك الجسم اختراقاً يتفاوت بحسب تكوينه ، حيث يقوم مجال مغنطيسي آخر بمحدها في بؤرة واحدة فتكوّن صورة مكبرة ، ثم إن الاشعة الكهربية ، التي تؤلف جزءاً من تلك الصورة يتم تكبيرها أيضاً بالمجال المغنطيسي الثالث فتكوّن منها صورة مكبرة أيضاً . فينتبين من هذا أن المغنطيسات الكهربية الثلاثة تقوم مقام العدسات في المجهر البصري . ولذا تسمى بالعدسات المغنطيسية . ولكن هذه العدسات المغنطيسية لا يمكن تحريكها كما تحرك العدسات الزجاجية ، بل يتاح إحداث التأثير المقصود منها بتغيير التيار . والصورة المكبرة في المجهر الكهربي تؤلف بشعاع كهربية خفية ، يدسنى إظهارها بحجاب متألق يتلقاها . أما الصور الفوتوغرافية فتصنع بجعل الشعاع الكهربية تسقط سقوطاً مباشراً على لوح فوتوغرافي . ولما كانت الشعاع الكهربية لا تؤدي حملها إلا في أنبوب مفرغ من الهواء فلا بد من وضع الجسم المراد فحصه بالمجهر الكهربي في خوة ملائمة له في المجهر ثم إغلاقه عليه مع تفريغ الخوة من الهواء . ومن الميسور إنجاز هذه الأعمال جميعها في ١٠٠ ثانية وذلك باستعمال المجهر الكهربي العام الذي تصنعه شركة الراديو الأمريكية R. C. A. من طراز EMU - إم - يو فينجم عن ذلك أن الدقائق التي تقل أحجامها عن جزء من مليون من عقدة الأصبع تسهل رؤيتها .

عز ص غنري

استنراك

وقع في المقال الخاص بالكشافون المنشور في الجزء السابق من المنتطف خطأ مطبعي لم يتح لنا التنبيه عليه في حينه وهو ، وجوب حذف الجملة الآتية وذلك في سياق الكلام في العمود الاول من ص ٢٩٩
وها هي ذي : —

« فيقوم التليفون مقام بوقه حينما توضع الشماعة في موضعها » فيستقيم المعنى ويحول النحوس .

على أننا أ
في العصر الحديث
وتفهم أسبابها
من دعامات التار



مكتبة المقتطف

تأليف الدكتور

الطب العربي

مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به تأليف الدكتور أمين أسعد خير الله
أستاذ الجراحة في الجامعة الأمريكية في بيروت — ٢٧٤ صفحة من القطع الكبير : بيروت ١٩٤٦

كتاب من الكتب الجامعة في هذا الباب ، وضع مقدمته المرحوم علي ابراهيم باشا
جراح مصر الاول عليه رحمة الله فقال إن هذا الكتاب قد وعى تاريخ الطب في مصر والشرق
كله وتضمن المعرفة الطبية منذ كان العرب في الجاهلية الاولى ثم في صدر الإسلام من عهد
الخلفاء الراشدين ، وتوسع في الطب العربي ومؤرخيه ، وكشف ممّا خطه العرب وما
ترجموه .

ولقد ألّف هذا الكتاب باللغة الانجليزية ونشر بها ، فترجمه دكتور من الفضلاء هو
الدكتور مصطفى أبو عز الدين ووضع للترجمة مقدمة هي على إيجازها للتعريف بمنزل هذا
العمل الكبير تدل أقوى دلالة على تعرف ما كان للعرب من أثر في العلوم طامة وعلم الطب
خاصة . فمن ذلك مثلاً أن ابن الهيثم كان أول من قال بأن شبكية العين هي مركز المرئيات
التي تنقل منها الى الدماغ بواسطة عصب البصر ، وإن وحدة الصورة من الباصرتين تعود إلى
تماثلها في الشبكيّتين . واكتشف ابن النفيس الدورة الدموية الرئوية قبل سرقيتوس
بمئتين وخمسين سنة ، ووصف مجيء الدم فاسداً الى القلب ومنه الى الرئة حيث يختلط بالهواء
ثم يعود الى القلب نقيّاً ليوزعه على الجسم . وعلي بن عباس الجوسمي سبق هارفي بمئات
السنين إلى كتابة أقرب وصف للدورة الدموية في الاوعية الشعرية . وأبو القاسم الجراح
العربي المشهور والمعروف بالزهراوي استعمل ربط الشرايين قبل إمبرواز بيارى بأجيال وهو
نفسه وصف داء الهموفيليا وقال إنه « مائي » . وكان أطباء العرب أول من قال بانتقال
الأمراض السارية بواسطة المخالطة .

انقسم المؤر
أن اللاهوت هو
واللاهوت كليهما
وكذلك عدم تحد
المفهومين تحديد
المؤرخ أو الناقد
المفهومين : مفهوم
في تاريخ ذلك ال
الفكرة العامة في
معنى الفلسفة وم
ما من شك في
قد توالت عليه أ
والنقض ، وتوات
هادئة باردة الا
ذلك التنوح الفك
ناحية الدين . فك
الدين عن مذاهب
النفس وتأثير العا
واني لعل يقين

على أننا أحوج ما نكون في هذا العصر الى معرفة تاريخنا . ولقد تغير فهم التاريخ في العصر الحديث فانتقل معنا من مجرد رواية الأحداث الى تحليل الحياة العقلية والاجتماعية وتفهم أسبابها ونتائجها وعلاقتها بالحاضر والمستقبل . ولا شك عندي أن هذا الكتاب من دعامات التاريخ المثلى في تاريخ العربية .

قصة النزاع بين الدين والفلسفة

تأليف الدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول :

٢٦٩ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٧ القاهرة

انقسم المؤرخون قسمين : أحدهما يرى أن لانزاع بين الدين والفلسفة وعمدتهم في ذلك أن اللاهوت هو الذي ينازع الفلسفة ، أما جوهر الدين فلا . وثانيهما يقول بأن الدين واللاهوت كليهما ينازع الفلسفة . ولعل السبب في ذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « فلسفة » وكذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « دين » . ولا شك أنه من أصعب الأمور تحديد المفهومين تحديداً جامعاً يقيم البحث في تنازعهما على قاعدة ذات حدود وروابط يأتى بها المؤرخ أو الناقد . ومن حيث بدأت البحث في ذلك الأمر انتهت الى فكرة غامضة في دلالة المفهومين : مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين . وإذن تكون مهمة المؤرخ الذي يتصدى للكلام في تاريخ ذلك الصراع إنه لا يجعل همه في التعريف بل في الاثبات والتقرير ، واستخلاص الفكرة العامة في ذلك من مقتضى الواقع ، لا من مقتضى الدلالة التي تتحيز في ذهنه من معنى الفلسفة ومن معنى الدين .

ما من شك في أن هنالك صراعاً وقع بين الفلسفة والدين . وما من شك في أن ذلك الصراع قد توالى عليه ألوان من العقيدة والفكرة والتقييد والتحرر ، والحقيقة والخيال ، والاثبات والنقض ، وتواتره قوى كثيرة هذه جاذبة وتلك دافعة ، وهي حيناً حارة مضرمة ، وحيناً هادئة باردة الانقاس . ولعل لا أكون مخطئاً خطأ كبيراً إذا قلت أن السبب في ذلك هو ذلك التنوع الفكري الذي ظل يمايل العقل الانساني حيناً الى ناحية الفلسفة ، وحيناً الى ناحية الدين . فكثيراً ما خرجت من بحوث الفلسفة نزعات دينية ، وكثيراً ما خرجت بحوث الدين عن مذاهب فلسفية . ومرجع ذلك وما له هو لدى الحقيقة العقل البشري ونزعات النفس وتأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية خاصة في رسم الطريق الذي ينتجيه الفكر . واني لعل يقين من أن المذهب الذي أذهب اليه في هذه الناحية صحيح في مجموعه ، وهو

عندي أن درس مثل هذه الأشياء وبخاصة ظواهر الصراع بين ناحيتين من نواحي الحياة الإنسانية كالدين والفلسفة ، ينبغي أن يخضع أول شيء لتحليل العوامل المحيطة بالإنسان في عصر من العصور وبخاصة عوامل الاجتماع والاقتصاد وما يعتورها من مظاهر عقلية ومادية . فقد نرى مثلاً أن نبلاء فرنسا قبيل ثورتها الكبرى كانوا ملاحدة نزاعين إلى التحرر الفكري ، فحمي وطيس النزاع بين الدين والفلسفة ، فلما دهمتهم الثورة بويلاتها وأخرجتهم من ملكوتهم ونزعت عنهم امتيازاتهم ، ارتدوا مؤمنين بالله واليوم الآخر ، وأموا الكنائس يلتسمون من جدرانها السلوى والمغفرة .

قد يكون هذا المذهب في واقع الأمر هو المذهب الإيجابي في تحليل حقيقة الصراع بين الدين والفلسفة ، ولن نستطيع أن نصل إلى الأسباب الحقيقية في اضطراب هذا الصراع حيناً ، وهدوئه حيناً آخر ، من غير أن نرجع إلى الملاحظات الاجتماعية والاقتصادية . الكتاب الذي نحن بصدد من الكتب التي نحتاج إليها كل الاحتياج ، وقد رتبته مؤلفه الفاضل بحسب العصور ، وحصر كل همه في رواية الوقائع وقصها ، ولعله يوافقنا على مذهبه الذي نذهب إليه في كتابة هذا التاريخ ، ولعلنا نقوز منه برأي فيه

الآداب السامية

مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جلالها ، تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي المفتش العام بوزارة المعارف : ٢٥٨ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ : القاهرة

تقصي الأستاذ الفاضل مؤلف هذا الكتاب نشوء اللغات السامية فبدأ بتعريف شامل لما يعنى الكتاب من اللغات السامية ، وعقب على ذلك بالكلام في فروع الأصل اللغوي السامي فمقد فصلاً في اللغة العبرية وعقب عليه بفصول في الفينيقية والآرامية والسريانية ، ثم تخلص من ذلك إلى الكلام في العرب واللغة العربية . ولعل أعظم ناحية من نواحي الكتاب هو اتباع الطريقة المثلى في هذه البحوث وهي الطريقة التاريخية التي تظهر على تسلسل الأسباب وتوالي الصور في انسجام كامل ، يخفق في الذهن فكرة عامة عن موضوع البحث . ولقد قرأت ذلك الكتاب على بعد موضوعه عن دراستي الخاصة ، فاذا بي في صميم آداب العربية ، أربط بين أجزائها وأوفق بين ما تنافر منها ، فأخرج من جُمّاع ذلك بتصوير صحيح في أصل لغتنا العربية المجيدة والكثير من خصائصها التي أضفت عليها من الجمال والقوة ما يجعلها في طليعة لغات العالم كله .

مؤلف مدر
التاريخ وأقصد بال
السياسية التي تقو
تاريخ الشرق إذا
جاسياً في كل الم
العشرين » « وآ
من الكتب التي
مادة التاريخ عما
بمقتضى ذلك فنحن

من شعراء
« أحلام الربيع »
في الديوان
وتحمة لعاهل الجول
وتشرشل ، وقصائد
وأبرز صفة في
وايثاره المعاني الس
وديوان « أح
إلى المطبعة ولم يسب
وأهدى الغناء
النهضة الفكرية في
تعمدها بالرعاية اع
وقد صدر هذا
فيها سمات صاحب

تاريخ العصر الحاضر

تأليف رفيق التميمي — دفا — فلسطين

مؤلف مدرسي لطلاب الثانوية ، جرى فيه مؤلفه على الطريقة الحديثة في وضع كتب التاريخ وأقصد بالطريقة الحديثة طريقة القصص التاريخية الملائم لتكوين فكرة عن الحالات السياسية التي تقوم في الأزمنة والأمكنة المختلفة ، قاصرة على تاريخ العرب والانعطاف نحو تاريخ الشرق إذا جدت حاجة الى ذلك . ولكن المؤلف قد أدرك ذلك النقص الذي يبدو جلياً في كل المؤلفات المدرسية الحديثة ، فعقد فصلاً ممتعاً في « نهضة العرب في القرن العشرين » « وآخر في الحركة الفكرية في العصر الحاضر » فأكمل بذلك نقصاً نألسه في كثير من الكتب التي يدرس عليها الطلبة في معاهدنا . ولعلنا نستطيع بعد قليل ان ندخل في مادة التاريخ عما قريب تاريخ التغيرات الاجتماعية والاقتصادي ، وتفسير الاحداث الجارية بمقتضى ذلك فنخلص الى جوهر التاريخ ولأسبابه ونترك قشوره وظواهره .

أحلام الربيع

من شعراء الحجاز المحدثين المجيدين الأستاذ طاهر زمخشري وقد أخرج أخيراً ديوان « أحلام الربيع » طاقة من الورد جمعت من كل لون زهرة .
ففي الديوان تحية للملكين فاروق وعبد العزيز عند اجتماعهما في رضوى وفي القاهرة ، وتحية لعاهل الجزيرة بعنوان « عودة الصقر » عند اجتماعه بالقطنين السياحين روزفلت وتشوشل ، وقصائد شتى فاضت بها قريحة الشاعر في مناسبات متباينة .
وأبرز صفة في الشاعر الزمخشري حبه للسهولة غير المتكلفة واجتنابه للجفاف من الكلام وإشارته المعاني السافرة عن المعاني المستترة .
وديوان « أحلام الربيع » من أول دواوين الشعر الحديث في الحجاز التي عرفت طريقها الى المطبعة ولم يسبقه من قبل سوى بضعة دواوين تكاد لقلتها تعد على الأصابع .
وأهدى الشاعر الزمخشري ديوانه لسعادة الدكتور محمد حسين هيكل بأهـا « من بناء النهضة الفكرية في مصر والشرق العربي » كشجرة من ثمار تشجيعه وزهرة من الزهرات التي تمهدها بالرعاية اعترافاً له بالجمل .
وقد صدر هذا الديوان بمقدمة نفيسة للشاعر المصري الأستاذ - سر كامل الصير في أوضح فيها محام صاحب الديوان .

١ - الله

للاستاذ عباس محمود العقاد - صفحاته ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير طبع بمطبعة دار المعارف بمصر

آية جديدة على ما بلغه من الذهن العبقري من النضج ، والتفوق ، تتجلى في هذا
المجهود الجبار ، الخصب ، الذي يقدمه - المؤلف - في حلقة الآثار العقلية ، الخالدة ، عن
بارئ الكون ، ومدير العالم ، ومبدع الكائنات ، فقد تناول فيه هذا الجانب المذكور في
الطبيعة البشرية . والذي يمكن أن يطلق عليه الوعي الالهي . بالدراسة المستوفاة ، والبحث
العميق ، فالإنسان مزود بهذه الحاسة الوجدانية التي تنهض على الإيمان الفطري بخالق
الإنسانية ، فليس عمل الأديان إزاء هذا الوعي بالعمل الخالق له ، بل هو بمثابة الغذاء الذي
يتطلبه الكائن الحي ، وتطوره ، وإكتماله ، فالتدين غريزة في كيان الشخصية الإنسانية ،
ولكن هذه الغريزة قد لبثت الدهور . وهي تتخذ مظاهر ساذجة ، بدائية ، مسيرة للحياة
العامة في مختلف ألوانها حتى بلغت أوج حيويتها عندما تهيأت لاستقبال آخر رسالة من
قبل السماء : فعصور الوثنية ، وفترات التوحش من بداوات الطبيعة لم تخل من التدين ، بل
كل هذه أثواب كانت ترتديها تلك الغريزة ، والذي يجرد ، أو يحاول تجريد الإنسان في
ثنائا تلك الحقب من التدين يتجنى على الحقيقة ، ويخطئه توخي الانصاف ، والأستاذ
- العقاد - قد إتسكأ على أمتن دطامة عندما رجع بهذه الظاهرة إلى أصولها ، وتبعها في
منابتها الأولى ، ثم أخذ يسايرها في شتى صورها عند البدائيين ، والفلاسفة وفي الشرائع
السمائية ، وأخذ يعرض تلك الصور التي استطاع العقل في طفولته ، وشبابه أن يتمثلها
عن - الله - ويناقشها في دقة وفهم ، ومقدرة ، ويفصل في لباقة بين الجواهر ، والأعراض
والألباب والقصور ، وما أكثر ما استنفدت هذه المشكلة من قوى المفكرين الذين استخدموا
العقل ، وتدرعوا بالمنطق ، أو من هؤلاء الذين احتكوا إلى الوجدان ، واستجابوا للعاطفة
والكل يجهد في تدعيم الصورة التي هدته إليها تجاربه الفكرية ، أو أهلمته إياها طاقته
الدينية المشبوبة ، ولكن مستظل وراء هذه المجادلات الشكلية ، وبعد هذه الخلافات العرضية
حقيقة لا يمكن جردها ، ولا سبيل إلى نسيانها ، أو تجاهلها ، وهي شعور الإنسان الفطري
بأن هناك قوى فوق طائفة العقل تمثلها ، ومعرفة كنهها ، تسيطر على الكائنات ، وتدبرها ،
وفق قانون ثابت ، مطرد حكيم ، هذا بعض ما انتهى تقريره بالمنطق الحكيم ، الأستاذ
- العقاد - والإيمان مرده إلى الوجدان ، والشعور ، وما عمل العقل إلا التفارقة بين
الباطل والصحيح ، والزائف ، والسليم ، فليس العقل هو الذي يوجد الإيمان بل هو يقويه

ويدعمه عن طريق
من تقدم الفكر
هذه الدعايات المأ
عملها ، وأن التقد
تفوق العقل وإزد
الشبه ، وأمنائها ،
فكم من فلاسفة ،
من أيديهم الحجة
تكثر أشواكه ، و
الكثيرين ويملا
المفكر الجسور
ولعل في عمل هذ
في حياتنا الدينية
العقل أن يخلعها على
مشوقة ، تستهوي
خلاصة مكررة
من عناية العلماء
عصارة ما بذلته
المفكرين ، وامت
طابع الأستاذ
موضوعه ، وقوة
بجوارها ، هذه
والعناية .

الأستاذ محي
سخية ، جواده ،

ويدعمه عن طريق العقل ، ويبعد عنه الهوائيات فلا ضير ، إزاء هذه الحقيقة ، على كينونة الدين من تقدم الفكر ونشاطه ، هذا التقدم الرائع ، مادام لكل ميدانه ، ومجاله ، ورسالته ، وأن هذه الدعايات المأفونة التي تذهب إلى أن المذاهب الاجتماعية يمكن أن تحل محل الأديان ، وتؤدي عملها ، وأن التقدم كفيل بمحو الأديان . فرية باطلة ، لا سند لها ، ولا بقاء ، ومهما كان من تفوق العقل وإزدهار العلم ، فهو يقوي العقيدة ، ويفلسف الإيمان ، لا أن ينال منه ، كل هذه الشبه ، وأمثالها ، قد تعرض لها الأستاذ - العقاد - وفندها ، وردّها إلى ما يجب أن تنتهي إليه ، فكم من فلاسفة ، ومفكرين ، نازلم الأستاذ ، واستطاع أن يأخذ منهم قصب السبق وأن يدل من أيديهم الحجة فكانت آية على جبروت هذا العقل الجبار ، الذي افتتح هذا السبيل الذي تكثر أشواكه ، ويزالقه ، بقدّم ثابتة ، وجنان يقظ ، وقلب ثابت ، وهو طريق يثير اهتفاق الكثيرين ويملا قلوبهم رعباً ، وأفئدتهم هولاً ، فيتقونه ، وينأون عنه ، ولكن هذا المفكر الجسور ، قد ضرب في أمثاله ، وجاب معاملته ، وقدم ما يحمل أن يقدم من ثماره ، ولعلّ في عمل هذا الرائد ما يمد السبيل إلى اكتشاف ما يستتر في باطنه من كنوز ينتفع بها في حياتنا الدينية ، والعقلية ، وفي تاريخنا لفكرة الدين ، وإبراز الألوان التي استطاع العقل أن يخلعها على - الآله - وعلى أي الصور تسنى له أن يتمثلها ؟ فهي مراحل مغربة ، مشوقة ، تستهوي اللب وتستلقت الخاطر ، والكتاب يجب أن يقرأه كل مثقف ، ليرى خلاصة مركزة لتلك المجهودات التي أنفقت العصور ، والأعمار في سبيلها ، وينال ما يستحقه من عناية العلماء ، والباحثين من دراسة ، وتعليق ، وأن يستقبل بما هو أهل له ، فهو عصاره ما بذلته البشرية حيال هذا السر العظيم ، ودراسات لنظريات الفلاسفة ، وآراء المفكرين ، واستعراض لكل ما يدور في هذا المجال ، وهو من حيث الدراسة . فهو يحمل طابع الأستاذ - العقاد - وخصائص ذهنه ، من حيث دقة بحثه ، واستيفاء أطراف موضوعه ، وقوة شخصيته ، وعنفوانها ، وأنها تروّعك بحجرونها . مهما كانت الشخصية التي يجوارها ، هذه كلمة مارة في هذا الكتاب الذي آمل أن يقابل بما هو خليق به من الدراسة ، والعناية .

٢ - الموازنة بين الطائفتين للأمدى

شرح وضبط وتعليق للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد

الأستاذ محي الدين من الشخصيات العلمية ، القلائل التي وهبت كل حياتها ، مضية ، جوادة ، للعلم ، والبحث ، والدراسة ، والتأليف ، في هدوء ، وصمت بعيدة عن

ضجة الاعلان ، غير آبهة بألوان الدعاية ، تاركة لوجودها ، وأعمالها ، أن تنطق بأروع بيان وتجلجل في مسامع العصر ، مفوضة إلى التاريخ — وهو أحكم الحاكمين — تقدير انتاجها ، وانصافها ، فلو أننا نعيش في بيئة تزن الأعمال بالقسطاس المستقيم ، لكان لهذا العالم الثبت ما له في هذا الجو الذي تطفو على سطحه كثير من الفقايع ، فلقد زود هذا الجيل بأزواد تنوء بها المجامع الضخمة ، وهو متعدد النواحي العلمية ، من أدبية ، وتاريخية ، ولغوية ، وإسلامية ، عميقها ، يحول في ميادينها بقدم ثابتة ، وذهن قوي ، وحسبه أنه قد تولى هذا التراث النحوي الذي تركته العصور ، وهو أشد ما يكون اضطراباً ، مما جعل مهمة الدارس له غاية في المشقة ، والعسر ، حتى كاد اليأس من الانتفاع بهذه الذخائر يقضي على كل شيء ، فأولاهها عنايته ، وأوقف عليها نشاطه حتى استطاع أن يثني وقد أخرجها جميعاً في أبهى حلة من الإخراج العلمي والتنظيم والتبويب ، والفهارس مما كان له أجل الأثر في المعاهد والجامعات التي تتولى تلك الدراسات العربية ، وقد عزّ عليه أن يرى كتب الفقه الإسلامي تعاني تلك العلل التي يعرفها كل من تصدى للدراسات الفقهية فأخذ في إصلاحها ، وتهذيبها ، وتقريبها إلى الأفهام ، ولو ذهبت أعداد ما قام به ، ويقوم من تلك الجهود لطلالبي القول . وحسبه أنه أصبح يتفرد بمكتبة من انتاجه ، وأخراجها وهو عالم ضليع ، واسع الاطلاع عميقه ، وأديب ممتاز له ذوقه ، وفهمه ، وبصره في النقد الأدبي ، وهو جزل الأسلوب ، متين العبارة ، غير أنه يرى أن هذه الكتب وهي كل تراثنا أولى بالجهود لإصلاح ما يعتورها من اضطراب ، ويشيع فيها من خطأ جرّه عليها احجاف عصور الظلم والركود ، وتزيده تمسكاً بهذه العقيدة عدم توافر الجهود اللازمة في هذا الميدان ، فهو يؤثر دائماً هذا الميدان على غيره ، لأن في إحياء هذه الآثار ، ورد جاذية البلى عن حماها ، نوع من التجديد والمساهمة ، والكتاب الذي نحن بصدد من أهم الكتب التي عنت بالنقد الأدبي ، فهو يدور حول شاعرية شاعرين من غول شعراء الأدب العربي ، وهما : أبو تمام ، والبحري ، فيتناول مواضع الجودة وينبه على مواطن الضعف في آثارهما ، ويحاول أن يبين كل ذلك فالكتاب له قيمته من حيث هو يؤرخ مرحلة من مراحل تطور النقد عند العرب ، ويبصر الناشئ بمواطن الجودة ، وما خذ الضعف ، ويعين على تذوق الأدب ، وهذا — الكتاب يعد من أمهات الكتب في هذا النوع غير أنه كان يعاني ذلك الداء الخاصر الذي يطغى على أمثال هذه الآثار من التحريف والتشويه ، والاضطراب ، مما يحول بينها وبين الانتفاع بها في سهولة ، ويسر ، فاستطاع الأستاذ الفاضل — أن ينقي ما فيه من الشوائب ، ويخلصه من الأغلاط ، ويصلح ما فيه من فساد ، ويؤبّيه ، ويتسوقه ، ويضع له الفهارس ، ويخرجه

إخراجاً علمياً ،
لا يضطلع بها إلا
ما يعينهم على هذا
تأدية رسالتهم وكل
والنهوض برسالة

البكباشي عبد
كانت هي فقيرة في
ولم يقف به نشاطه
مجلة للجيش وتنظيم
المطالعة للجنود .
وقد أصدر أخ
مصر القومي ، است
ألوان شتى من تاريخ
والكتاب بار
استوفى الموضوع
فحصراً . وهذا الم
صفحة هي بحق جد
وهي « ستكون مف
التقدم به نحو الك
الفلاسفة في جميع
الكثيرة المتعاقبة

كان لليقظة التي
أثرها في كل منحي
تبدو آثارها فيما يند

إخراجاً علمياً ، دقيقاً ، فهد السبيل للانتفاع بهذا المورد العذب في النقد الأدبي وهي رسالة لا يضطلع بها إلا هؤلاء الذين أتبعتم لهم ثقافة ، شاملة ، مركزة ، ورزقوا من الصبر ما يعينهم على هذه الجهود ، ومن الاخلاص للعلم ، ما يحجب إليهم كل صعب في سبيل تأدية رسالتهم وكل هذه الخلال يتحلى بها هذا الأستاذ الخالص ، وفقه الله لخدمة العلم ، والنهوض برسالة العلماء .

محمد زهير الحليم الوزير

١ - مصر الظافرة

١٣٠ صفحة من قطع المقتطف - المطبعة الاميرية ببولاق

البكباشي عبد الرحمن زكي مدير المتحف الحربي أديب أغنى المكتبة العربية في ناحية كانت هي فقيرة فيها فأنشأ ثقافة عسكرية رزج فيها بين الأدب والتاريخ والفنون العسكرية ولم يقف به نشاطه عند العمل في حدود عمله العسكري من تكوين مكتبة عسكرية وإدارة مجلة للجيش وتنظيم المتحف الحربي وتقوية روح التأليف والكتابة بين رجال الجيش وتحبيب المطالعة للجنود . فهو ما ينفك بين حين وآخر ينفج المكتبة العربية بأثر جديد له . وقد أصدر أخيراً الطبعة الثانية من كتابه « مصر الظافرة » وهو صفحة من تاريخ مصر القومي ، استعرض فيها حقب التاريخ كما يستعرض موكباً من المواقف اجتمعت فيه ألوان شتى من تاريخ مصر الفرعونية حتى العصر الحديث وذلك في عرض شائق وأسلوب جميل . والكتاب بالرغم من صغر حجمه وضخامة الموضوع الذي تناوله مؤلفه الفاضل ، قد استوفى الموضوع حققه من الأداء فلم يخل بإيجازه بشيء من صور التاريخ المصري عصراً فعصراً . وهذا الموضوع يتصدى له خبير به فيحسن تصويره ويلم بشتاته ويعرض للقارئ صفحة هي بحق جديرة بما توج به الكتاب بالكلمة الذهبية للمغفور له الملك فؤاد الأول وهي « ستكون مفاخر ماضينا وتراثنا الخالد خير عون لنا في بعث وطننا من جديد ، وفي التقدم به نحو الكمال الانساني ، ذلك الكمال الذي ظلّ - على تناحر الشعوب واختلاف الفلاسفة في جميع الأقطار والأزمان - مذ كان أرسطو حتى تولستوي - حلم العصور الكثيرة المتعاقبة ، والمنارة اللامعة المغربية في آفاق البشرية السامية »

٢ - صحيفة البلاد السعودية

كان لليقظة التي بعثها العاهل العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الجزيرة العربية أثرها في كل منحى من المناحي عمرانية أو ثقافية ... وآية ذلك تلك النهضة القوية التي تبدو آثارها فيما ينتج أدياء الجزيرة في هذه الآونة .

ولقد نهضت الصحافة هناك في عصره نهضة تبشر برقي، وإسراع في هذا الرقي . فهناك من الصحف الآن ما تضارع صحف البلاد العربية الأخرى، ولها من الرسالة التثقيمية ما يدعو إلى الإعجاب . وفي مقدمة هذه الصحف صحيفتان إحداهما شهرية وهي « المنهل » التي يصدرها الأستاذ عبد القدوس الانصاري - وقد سبق أن نوهت بها في هذه المجلة - والأخرى « صحيفة البلاد السعودية » وتصدر يوم الاثنين من كل أسبوع في حجم الجرائد اليومية . ويتولى إصدارها الشركة العربية للطبع والنشر ورؤس تحريرها أديب ممتاز الذهنية رقيق الأسلوب قوي التعبير هو الأستاذ عبد الله عريف يماونه في ذلك فريق كبير من أدباء الجزيرة العربية البارزين من أمثال الأساتذة أحمد عبد الغفور عطا ومحمد حسن عواد وطاهر زحشري وحسين عرب وحسين سرعان ومحمد حسن فقي والانصاري وحسن عبد الله القرشي وعزيز ضيا وغير هؤلاء ممن يحملون علم النهضة الأدبية في الحجاز .

وقد أصدرت هذه الصحيفة بمناسبة دخولها في سنتها الثانية عشرة عدداً ممتازاً في طباعته الملوثة وفي إخراجه وفي موضوعاته وقصائده ضم الكثير من نتاج من ذكرنا من هؤلاء الأدباء الأفاضل ومن كثيرين غيرهم ، وقد توج بكلمة لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفضيل ، وازدان بكلمات لحضرات أصحاب السعادة الأساتذة محمد سرور الصبان وعبد الرؤوف الصبان والشيخ إبراهيم السليمان وفضيلتي الشيخ محمد بن نافع والسيد صالح شطا والأمير الای علي بك جميل وانها نهضة مباركة يرجع الفضل فيها إلى الجهود التي بذلها عامل الجزيرة العظيم وآل البيت السعودي الكريم الذين يحتضنون النهضة الفكرية ويعملون على رفع منارها وإعانة الحياة الأدبية إلى الجزيرة كما كانت في أزهى عصورها .

الصبر في

اختزال و أكد

وضع حضرة الأستاذ فؤاد و أكد رئيس قسم الاختزال بمجلس النواب المصري كتاباً يتضمن شرحاً وافياً للطريقة التي ابتدأها للاختزال باللغة العربية بعد ما درس طرق الاختزال باللغة الانجليزية وألم الماماً تاماً بكيفية تبسيط هذا العلم واستعماله في سهولة ويسر . ويقول الأستاذ و أكد أن ما حفزه إلى إخراج هذا الكتاب هو ما تبينه من افتقار اللغة العربية إلى مثيل له يسهل تداوله والاعتماد عليه في درس هذا الفن .

لم أكد أفرغ
قصة « سارة » لل
نظري . فاقصتان
منهما يكاد يكون
يقطع الصلة بين العا
ولم يسترع انت
جلي في تحيّر عنو
يعنون قطب فصلاً
و « مضحكات الرقاب
« سخریات » و « أ
ولا أريد أن
طريقته الخاصة في
خاص في معاملة المر
هذا التشابه فرض
واستوقف لظ
عليها العائلة المصر
تؤله لأن يقتحم
تحويل له أن يبيت
بها في مر الدار و
حتى بعد أن قطع
هذه دون أن ي
موضوع حلم حله
وفي رأي أ
قصته للواقع المأل

١ - أشواك

للاستاذ سيد قطب

دار سعد ميمر — ١٤٨ صفحة من الحجم المتوسط

لم أكد أفرغ من تلاوة قصة أشواك التي صدرت أخيراً للأستاذ سيد قطب حتى تناولت قصة «سارة» للأستاذ عباس محمود العقاد، لأن مشابهة ملحوظة بين القصتين استوقفت نظري. فالقصتان على ما يتضح من سياقهما مستمدتان من حياة كاتبهما. وموضوع كل منهما يكاد يكون واحداً، فمحوره أن شاباً يحب فتاة فتبدي له الفتاة من التذلل والصد ما يقطع الصلة بين العاشقين.

ولم يسترع انتباهي تشابه موضوع القصتين وحده، بل راعني فضلاً عن ذلك تقارب جلي في تخيّر عنوانات الفصول في كل من الروايتين. فبينما يعنون العقاد فصلاً «بشكوك» يعنون قطب فصلاً «بأشواك». وبينما يتخذ الأول العنوانات التالية «وكان صباح» و«مضحكات الرقابة» و«من هي» و«القطيعة» يتخذ الثاني العنوانات التالية «موعد» «سفریات» و«أنى» و«القطيعة» وجلي أن المماثل يتقارب وإن تباعدت الألفاظ شيئاً ما. ولا أريد أن يؤخذ كلامي على أن الأستاذ قطب نقل من الأستاذ العقاد، فشكل منهما طريقته الخاصة في الكتابة وفي معالجة «تجربة الحياة» التي عرضت له، لشكل منهما أسلوب خاص في معاملة المرأة سواء كان ذلك في حياة الواقع، أو دنيا الخيال والتصور، ولكن هذا التشابه فرض نفسه عليّ فرضاً رغم الشقة المسيجة بين زمن قراءة كل من هاتين الروايتين. واستوقف نظري في قصة الأستاذ قطب شيء من التحرر من التقاليد التي تواضعت عليها العائلة المصرية. ومن ذلك مثلاً أن بطل روايته خطب لنفسه فتاة، فكانت هذه المزية تؤهله لأن يقتحم عليها حجرة نومها ويفجأها وهي أدنى إلى العري منها إلى السر، وكانت تخول له أن يبني في دارها دون أن يعترض والداها على ذلك، وكانت تبسح له أن ينفرد بها في ممر الدار ويعتصرها اعتصاراً ويرشف منها ما شاء من رحيقها المذخور. بل إنه، حتى بعد أن قطع كل صلة بها ذهب إلى دارها فدهش جميع الذين كانوا فيها ولم تحمل دهشتهم هذه دون أن يختلي الخطيب السابق بمخطيبته السابقة بعد استئذان أهلها، ليفاتحها في موضوع حلم حلة يتعلق بأخص خصائص المرأة.

وفي رأي أن القاص اندفع بعض اندفاع في إعداد هذه المواقف لأنه لو تحرّى مطابقة قصته للواقع المألوف لتجنب هذه الأخطاء.

وبعد فاقصة لا تفتقر إلى عنصر التهويق ، وإلى الظلال ، فهي حافلة بهما ، ولعل خاتمتها « الحاملة » أجمل ما فيها لأنها تعرض لنا فكرة جديدة هي « الأبوة التصويرية » أي أن يخال رجل نفسه أباً لطفل ليس من صلبه .

٢ - جرائم واغتيالات القرن العشرين

للأستاذ عبد الحليم الجندي

الجزء الثاني - دار سعد مصر - ١٦٠ صفحة - متوسطة

أصدر الأستاذ عبد الحليم الجندي المحامي بأقلام فضائل الحكومة كتاباً من جزأين عنوانه « جرائم واغتيالات القرن العشرين » تحدث في الجزء الأول عن إبراهيم الهلباوي بك أول نقيب للمحاماة في مصر وتناول في السفر الثاني حياة محامين بريطاني وفرنسي فضلاً عن من فتتاهما وتمسزا على أقرانهما بما وهبا من استعداد فطري لمراس المحاماة ، كأن مهنة المرافعة لم تخلق إلا لها .

والسكسوني هو مارشال هول ، وهو معروف للمصريين بدفاعه الجبار في قضية مقتل الوجيه علي فهمي بيد زوجته الفرنسية مرجريت فهمي ، وقد استطاع بقوة حجته وتحاياله على الحقائق واختلافه أموراً لا نصيب لها من الصحة أن ينقذ موكلته مرجريت من المقصلة مع ثبوت جرمها ومغالة القانون في عقاب مقترف جريمة القتل .

كان رجلاً يناضل المقادير بل ويوجهها حسبما يشاء ، فقد كان في طاقته أن ينتزع من بين براثن الموت متهمين ثبت جرمهم واعترفوا بأثمتهم على الملأ ، أو كما قال الأستاذ الجندي « كان يستخرج القاتل من القفص ليستجوبه كشاهد لا كمتهم ! »

بعثت إليه معجبة به رسالة تثنى فيها عليه وترجوه أن يوافيها بصورة « أكبر المحامين رفاقة وعبقرية » فما كان منه إلا أن بعث إليها مزيحاً شكره وأرفق كتابه بصورة محامي خصمه !

ولكن هذا المحامي الذي جاعل صوته في ساحات القضاء في بريطانيا كان سيء الحظ في حياته الخاصة إذ حدثت جفوة بينه وبين زوجته وكانت طلبة القضاء ميداناً شهيراً فيه بمحامي بريطانيا الأكبر وأصبحت أخص علاقته بزوجته موضوعاً تلوكه الألسنة وتجتزئه الأفواه . والمحامي الفرنسي هو هنري روبير ، وهو منفرد في صفاته ، عبقري في فن الكلام وفن الكتابة ، يلعب بالالفاظ لعباً ، ويحاور ويداور ما شاء له المقام حتى يواتيه الظفر بشاره الناضجة

لو أراد لأصبح
القرن ولكن انقطعت
أن أصور هنري روبر
روح الحياة ليراه الق
فاسمعه يقول :

« نحن الآن في
ينام ، ولكنه نهض
ينطلق في سرعة غر
بضع دقائق دون أن
واندلع لهيب النار ،
كلاعب السيف ، ض
أو كما شهروه بالحاوي
أعينهم أعظم شيء في
إنه كتاب ممتع
كتاب كالمعرض أو
وفضائلها . وكاتبه
ولا يدع زفرة إلا

نشرت مكتبة
ويعرف كثيرون من
كثيرة وترجم كتب
في مصر قراء متعدد
خلالها وطرح الرو
وعلامات الموت
والسيكومتري (تق
وتتكلم . وفي السكت
ضرافة ولذة كفيلة

لو أراد لأصبح وزيراً في فرنسا ، ولو شاء لتصدر الساسة في بلاده في مستهل هذا القرن ولكنه انقطع للحمامة مفسحاً وقته بعض الشيء للتأليف والتسويد . وليس في الوصف أن أصور هنري روبير كما صوره الأستاذ الجندي . فقد نشره الكاتب من قبره وبث فيه روح الحياة ليراه القارىء نابضاً بالحياة متجسماً أمام مخيلته .
فاسمعه يقول :

« نحن الآن في المحركة ، وما هو ذا النائب العمومي يترافع ، وذلك محام هادى يكاد ينام . ولكنه نهض الآن بإدي الرشاقة ، رفيع القامة ، قوي الصوت ، واضح الكلام ، ينطلق في سرعة غريبة كأنه يخشى فوات الميعاد إنه يتكلم كأنه يتحدث ، وما قد مضت بضع دقائق دون أن يظهر إنه محام عظيم ، ولكنه قد أوغل في الصميم ، وحيت الوقدة ، واندلع لهيب النار ، وانسافت الحجة متدافعة معجلة ، فهو يضرب يميناً ، ويضرب شمالاً ، كلاعب السيف ، ضربات منظمة ، وأحياناً كثيرة ضربات غير منظمة ، تسحر العيون ... أو كما شهروه بالحاوي ، إذ يهر الخلفين بصيحاته وحركاته المتقطعة ، بينما هو يلتقط على أعينهم أعظم شيء في أيديهم ، وهو هنا روح المهيم ! » .

إنه كتاب ممتع ، لأنه كتاب حي . لا نقرأ فيه عن أناس ، وإنما نرى فيه أناساً . كتاب كالمعرض أو كشريط السينما يجسم لك الحوادث ويبين لك من ظلالها أبحار الحمامة وفضائلها . وكاتبه الأستاذ الجندي يمسك بقلمه بإحكام فلا يدع خلجة إلا يحسن تصويرها ، ولا يدع زفرة إلا يجلوها للعيان .
وربيع فلسطين

ظواهر الطرح الروحي

نشرت مكتبة الهلال في الفجالة هذا الكتاب لمؤلفه حضرة الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ويعرف كثيرون من القراء أن حضرة المؤلف توفر على دراسة العلم الروحي وألف فيه كتباً كثيرة وترجم كتباً أخرى عن اللغات الأجنبية . ولهذا العلم أنصار في أوروبا وغيرها وله في مصر قراء متعددون . والكتاب الذي بين أيدينا يبحث في الأحلام والتواصل الروحي خلالها وطرح الروح خلال النوم والعقل الباطن والوحي والرؤيا الصالحة والموت الظاهري وعلامات الموت الحقيقي والغيوبة والتخشب وظاهرة التلبث والتجريب العلمي فيها والسيكومتري (تقصي الأثر في لوحة القضاء والزمن) وكيف تتجسد الأرواح المطروحة وتتكلم . وفي الكتاب كثير من الصور . ولا شك في أن موضوعات الكتاب وما فيها من طرافة ولذة كفيلا بالاقبال عليه من المهتمين بالشؤون الروحية .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد العاشر بعد المئة

وطننا الشرق : اسماعيل مظهر	٣١٣
العائدون (قصة) : محمد طلحة رزق	٣٢١
جريمة أم قضايا (قصة) : ع . ش	٣٣١
الوضع الاجتماعي : الياس يعقوب	٣٣٧
المرأة في البرلمان : نقولا الحداد	٣٤٩
أمس واليوم — حالة مصر الزراعية والقطن المصري : وديع فلسطين	٣٥٣
المجهر السكيري : عوض جندي	٣٦٢

مكتبة المقتطف * الطب العربي . قصة النزاع بين الدين والفلسفة . الآداب السامية . تاريخ المعمر الحاضر . أحلام الربيع . ١ - الله - ٢ - الموازنة بين الطائفتين للأمدى ، محمد عبد الحليم أبو زيد - ١ - مصر الظافرة - ٣ - صحيفة البلاد السعودية : الصيرفي . اختزال واكد - ١ - أشواك - ٢ - جرائم واغتياالات القرن العشرين ، وديع فلسطين . ظواهر الطرح الروحي .	٣٧٢
--	-----

٣ - لحق

١٠١ - ١٤٤ المسرحية في شعر شوقي : تأليف محمود حامد شوكت